ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

الأدب والأدباء في القيروان
في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

د. سوزان محمود عزب

باحثة في شئون المغرب الإسلامي والأندلسي
أستاذة دراسات اجتماعية
وزارة التربية والتعليم – جمهورية مصر العربية

مُلَخّصْ

يتناول البحث حالة الأدب في مدينة القيروان؛ وبخاصة القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، تلك المدينة التي لعبت دورًا في أثراء العالم الإسلامي بالعديد من الأدباء، وشيدت على يد القائد الكبير عقبة بن نافع الفهري، وانتعشت الحياة بداخلها على مدى فترات طويلة من تاريخها، وإن كان تلك من أكثر الفترات تأثيراً في تاريخها، وهى الفترة المتعلقة بتواجد القبائل الهلالية وهجومها المتوحش على إفريقية، الذى أضر كثيرًا بالاستقرار الداخلي، وتغير الأوضاع الحاكمة آنذاك، ومن هنا جاءت فكرة البحث عن التجول داخل سنون تلك المرحلة، والبحث عن الأدب والأدباء، والاستقرار والأمن الذى شهدته المرحلة في بداياتها، ورواج سوق الأدب، وارتقاء الأدباء في المجالس الأدبية التي كانت تعقد بحضرة الأمراء والحُكام، ووفود الكثير من أبناء الأمصار الأخرى لحضور تلك المجالس، أو ما يمكن تسميتها بالمنتديات الأدبية، ومن جانب أخر نحاول تسليط الضوء على الفترة الأخيرة من القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، وما آل بالقيروان من انكسار شديد، واصطباغ مختلف ألوان الأدب خلال تلك المرحلة بطابع الهزيمة والضياع والفراق للمحبين والديار، إلى جانب هجرة الأدباء إلى مختلف الأصقاع بحثًا عن مستقر وحياة أفضل، وهربًا والنجاة بحياتهم بعيدًا عن موطن العراك، وما يلحق بهم من أضرار وموت محقق على يد القبائل الغازية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٥ يونيو ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٣٠ سبتمبر ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

تاريخ الأدب، أدباء القيروان، السرقة الأدبية، الحضارة العربية، الشعراء القيروانيين

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

سوزان محمود عزب. "الأدب والأدباء في القيروان في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي".- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني والثلاثون؛ يونيو ٢٠١٦. ص٩٤ – ١٠٩.

مُقَدِّمَةُ

قد لا يكون بمكان في أي عصر من عصور التاريخ القديم والحديث، ألا ويكون للأدب والأدباء مكانتهم، وعلو شأنهم فيما ينظمونه من أبيات شعرية وجمل نثرية، ترصد أحداث بعينها وواقع معاصر لهم، ونجد هذا الاهتمام بالأدب لدى الكثير من أبناء القيروان[١]، الذين عنوا بتسجيل ما يحدث بواقعهم في تلك الأبيات المنظومة والجمل النثرية الدالة على حدث، أو قضية، أو الإشادة بجهود المثقفين والسياسيين في خدمة وطنهم، مما أعطى تميزًا كبيرًا لتلك المرحلة من تاريخها، ومنحتها طابعًا فريدًا وبخاصة لما ألم بها في أخريات تلك الفترة الزمنية، وكان دافعًا للبحث عن دور الأدب والأدباء، والذى يُعَدّ من أكثر الفترات تأثيرًا على الحركة الثقافية، وبخاصةً لأنها تخضع لحكم الأسرة الزيرية، التي بلغت القيروان في ظلها درجة من التقدم والرقى، ووصفها الدكتور سعد زغلول عبد الحميد بأن تلك الفترة "العصر الذهبي للقيروان"[٢]. كما كانت المرحلة الثانية من الفترة الزمنية للبحث، تضم الكثير من الكساد الحضاري الذى أثر على معالمها وتراثها الفكري، وكان دافع للبحث عن حالة الأدب.

أولاً: حالة الأدب لدى القيروانين

ذكر ابن خلدون عن الأدب أنه "ثمرة أهل اللسان، وهو الإجادة في فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم"[٣]، وقد جاء هذا البيان جامعًا شاملاً لما يدور حول الأدب من معانٍ عدة تخرج منه، وأفرع انبثقت معلنة عن انشطارها إلى جزئيات تسير جميعها في محيط دائرته وعلى غرار هذا التعريف يمكن الإشارة إلى أن الشعر لم يكن هو كل ما ينطوي عليه لفظ الأدب كما هو شائع، بل هو وجه من أوجه متعددة تفرعت وتبلورت صورتها، وصار لكل منها كيانٌ منفردٌ، فنجده يشمل المنظوم والمنثور من الكلام، مما يجعلنا نستدل بأن الأدب لم يكن قاصرًا على قول الشعر، وإنما امتد إلى كتابة النثر والرسائل والخطب والقصص، ونتيجة لهذا التنوع فقد أطلق عليه إبراهيم حركات لفظ "الكشكولات" وأشار انها "تجمع شتى أصناف الأدب من أمثال وأساطير وأشعار ورسائل"[٤].

ويأتي هذا التنوع للأغراض الأدبية، دافعًا لدى أبناء القيروان لثراء تراثهم الأدبي، وكان اندماجهم مع تلك الفرق التي وفدت عليهم، وترسيخ المبادئ الأدبية لديهم، فكانوا يحملون النكهة العربية في تلقى الأدب وتذوقه والتواصل عن طريقه[٥]، ومما ذكره حواله أنه "بناء على نعومة الحياة الحضرية وطرواتها التي عرفتها إفريقية في العصر الزيري فقد طرق الشعراء كل أنواع الشعر تقريبًا، قالوا في المديح والنسيب، ويخيل إلينا أن الحياة الناعمة المليئة بالأجواء المشبعة بالأدب وعنفوانه قد دفعت بعض الشعراء إلى أن يتظارفوا، أو لتقل يصطنعوا الظرف في شعرهم وقرضهم".[٦]

ونقف من ذلك أن الاستقرار الداخلي الذى تمكنت القيروان من تحقيقه كان السبب وراء الانتعاش الأدبي، وتنوع صوره، وتعدد آراء الأدباء خلال تلك الفترة الزمنية، ومنها ما ذكرته إحدى الدراسات أن عبد الكريم النهشلى قسم الشعر إلى عدة أنواع حيث قال: "الشعر يجمع أربعة أصناف، المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرع من كل صنف فنون، فيكون من المديح المراثي والافتخار والشكر، ويكون من الهجاء الذم والعتاب، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ، ويكون من اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر والخمور".[٧] وفي رواية أخرى عن تقسيم النهشلى لأغراض الشعر، يذكر ابن رشيق أنه قد تعددت ألوان الشعر لديه، وهى: "شعر الخير وذلك في باب الزهد والمواعظ والمثل العائد على من به الخير وما أشبه ذلك، شعر ظريف مثل قول الأوصاف والنعوت والتشبيه، شعر شر كله مثل المهاجاة وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس، شعر يتكسب به وذلك السائد ويحمل إلى كل سوق ما ينفق فيه ويخاطب كل إنسان من حيث هو ويأتي إليه من جهة فهمه"[٨]، وهذا التنوع يعطى المرونة لدى الشاعر في نظم أبيات متعددة الأهداف.

وذكر زكي مبارك في تحقيقه لكتاب زهر الآداب أن "الحصري القيرواني تناول السهولة في التنقل بين أغراض الشعر، وألغى الفواصل، وكان لا يحفل بترتيب المسائل ولا الموضوعات"[٩]، وذكر حسن ذكرى عن ديوان ابن شرف الذى قام بتحقيقه، أنه "تناول في أشعاره مدح وهجاء وغزل ورثاء ووصف وفخر وزهد وعتاب، غير أن هجاءه جاء قليلاً نادرًا كغيره من الشعراء، والغالب على شعره بكاء القيروان ورثاءها والحنين لأيامها الخوالي التي لم تفارق صورتها مخيلته، ولم ينسها طوال فترة اغترابه، فنال ذلك أكبر قدر من اهتمامه واستطاع أن يجود فيه أيما إجادة "[١٠]، مما كان كاشفًا لتنوع ابن شرف في أبياته التي وضعها، واستخدامه لأغراض متعددة أفصحت عن مهارته في الشعر.

ويرجع الازدهار الذى تمتعت به الحالة الأدبية بالقيروان إلى سنوات عدة ترسخت خلالها على يد أسلافهم الذين أعطوا الجهد الكبير والفكر للدراسة لها، مما كان له الأثر الأكبر في وضع النواة الأدبية على أرضها، ونموها وبروز ثمارها على مدى المراحل التي مرت بها القيروان، فمنذ أن وطأت أقدام الإسلام أرض القيروان، وعُمرت بالفاتحين والأفارقة، وكانت السبيل نحو معرفتهم باللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، وعُدت الدروس الدينية فاتحة الطريق لمعرفتهم بعلوم اللغة، مما جعل للقرآن الأثر الأكبر في معرفة الأفارقة للعربية، ويشير شوقي ضيف إلى أن القرآن الكريم هو الذى "أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره، فعلى هديه أخذ الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون أثارهم الأدبية، مهتدين بديباجته الكريمة، وحسن مخارج الحروف فيه، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات، بحيث تحيط بمعناها، وبحيث تجلى عن معناها".[١١]

وقد سنحت الأوضاع والظروف التي كانت عليها القيروان بعد استقرار أحوالها وتعميرها لاستقبال الكثير من الأدباء والمثقفين، الذين قدموا إليها سواء عن طريق مصاحبتهم للحملات الموجهة إلى المغرب أوعن طريق الاتصال بحكامها والتقرب منهم والعيش بها، مما عزز شأن الانتشار الأدبي وكان الشعر الأكثر شيوعًا للأدب، فمن خلال قراءة الأوراق التاريخية وتناول أخبار الفتوحات التي غمرت الساحة الإفريقية نجد أن الفاتحين المعمرين انتهجوا صفة الشعر في التعبير عما يجول بخاطرهم للكثير من المناسبات والمواقف التي مرت بهم، وترك البعض منهم بصمة بارزة، ونذكر منهم سليمان بن حميد الغافقي [المتوفي سنة ١٦هـ/ ٧٧٦م][١٢]، والمعمر بن سنان التيمى [المتوفي سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م].[١٣]

وفي إطار تلك الإشارة الموجزة عن نشاط الحركة الأدبية التي سادت القيروان نجد أن فترة حكم الأغالبة شهدت رواجًا عظيمًا لها، وأفصحت الروايات عن عشق أمراء بنى الأغلب للشعر ونظمه، وندلل بذلك أن إبراهيم بن الأغلب كان شاعرًا[١٤]، وزيادة الله بن الأغلب كان أفصح أهل بيته لسانًا وأكثرهم بيانًا، وكان يقول الشعر الحسن الجيد[١٥]، ومما أوردته أيضًا أن للشعر المكانة البارزة لدى الرسائل التي كانت تُبعث فيما بينهم، وكانت تفصح بداخل أبياتها عما يريدون التعبير عنه، ودليلنا على ذلك الخطاب الذى أرسله تميم ابن تمام التميمي إلى العكى، ويحثه فيها على مواجهة إبراهيم بن الأغلب، وفي نهاية الخطاب أورد أبيات معبره عن مضمون الرسالة، وفي المقابل رد عليه العكى برسالة مماثله وختمها بأبيات من الشعر.[١٦]

وفي ظل حكم بنى زيري، وتحديدًا خلال تلك الفترة المنوطة بالبحث، وتحت ولاية المعز بن باديس، فقد برزت الحركة الأدبية وبلغت درجة كبيرة من الرقى، وازدهرت المجالس التي كانت تعقد بحضرة أمرائها، وبرز بها الكثير من الأدباء، ولكن يلزم أن نتعرف على بعض النقاط التي أفادت في ارتقاء تلك الحركة، وكانت ذات تأثير فعال عليها:

١/١- انتشار المعرفة الأدبية بين أبناء القيروان:

كان الوجود القوى للثقافة الأدبية من أكثر الجوانب التي نلاحظ وجودها لدى شعبية كبيرة من أبنائها، ومع اختلاف ثقافتهم إلا أن ميولهم الأدبية كانت تظهر في بعض الأحيان، وقد يكون هناك بعض الأساسيات التي تسهم في الانتشار للمعرفة الأدبية، ومما يخدم هذه الجزئية ما أشار إليه حركات في حديثه عن الأدب أنه تُوجد عدة وسائل ينتقل من خلالها وهى "مخالطة الأدباء والاستماع إليهم ومناقشتهم، والمطالعة الحرة، والدراسة للكتب الشاملة للعربية".[١٧]

وهذا الانتشار يعود إلى رجال الدين والفقهاء وميولهم في نظم الشعر، ومن خلال الدراسة الدينية، وما برز منهم في الزهد والتنسك نجد أن هناك وجود لبعض من النثر أو الشعر على لسانهم، ونشير في ذلك لرأى إبراهيم الدسوقي أن "تلك الفئة التي تسترعى الانتباه بزهدها ونسكها وتدخل التاريخ سيرًا طريفة يختلط الصحيح من أخبارها بغير الصحيح، وبين الحين والحين تقع العين على طرف من النثر والشعر موجزة وغير موجزة".[١٨] مما يدل على أنه لم تكن الاهتمامات الدينية كل ما يشغل بال القيروانيين، وأوضحت الرواية في كتب الطبقات والتراجم شمول اتجاهات ثقافتهم للناحية الأدبية، والتعمق فيها لدى البعض منهم، ونذكر أن الفقهاء وعلماء الحديث والتفسير والقراءات اتبعوا من حين لآخر نظم الأبيات، وأخرجوا من ضمن معارفهم بعضًا من الأبيات، ويكفي أن ندل على ذلك بقيام الشيخ أبى الحسن القابسي بإنشاد بعض من الأبيات حين توليته الفتيا[١٩]، مما جعل ظاهرة الفقهاء المتأدبين فاشية بالمغرب، وكان أكثر ما يجذبهم للأدب نظم الشعر[٢٠]، ونجد من الفقهاء أبو محمد عبدون ابن الشيخ أبى محمد التبان، وكان من أهل العلم والأدب[٢١]، كما أن استخدام الشعر كان للتعبير عما تكنه قلوبهم من سعادة أو حزن، ودليل ذلك من ما أوردته التراجم عن الفقيه أبو حفص عمر بن محمد بن العطار [المتوفي سنة ٤٢٨هـ/ ١٣٦م]، أنه قد شوهد على قبره مشهد مكتوب عليه بعض الأبيات الشعرية رثاء عليه.[٢٢]

٢/١- التشجيع من البيت الحاكم للحركة الأدبية:

وظهر خلال تلك المرحلة ترحيب من جانب البيت الحاكم بالحركة الأدبية، وتدل على ذلك تلك المجالس التي كانت تُعقد لدى الأمير المعز بن باديس، ويحضرها جمع غفير من الأدباء والمثقفين سواء على المستوى المحلى أو الخارجي، واتسمت برواجها خلال تلك الفترة المنوطة بالدراسة، وسبق أن تناولنا الحديث عن هذا الجانب من التشجيع للأدباء، وإغداق العطايا والهدايا، وإلى جانب ذلك فقد اتسم أمراء البيت الزيري بميولهم الأدبية، ونذكر تميم بن المعز الزيري الذى اهتم بنظم الشعر، وكان مشهورًا باحتضانه للشعراء من أفريقية والأندلس، بل لقد كان هو نفسه شاعرًا وأديبًا مبدعًا، وأكثر أشعاره حول الغزل والشراب والوصف.[٢٣]

٣/١- الأحوال السائدة وأثرها:

شاركت حالة القيروان وأحداثها التي مرت بها بنشاط مكثف في الحركة الأدبية، وقد كان النصف الأول من تلك الفترة مرحلة ثرية للانتعاش الأدبي، وأحدثت تنوعًا للأغراض والموضوعات التي تناولتها، ومعايشتهم للحوادث المريرة التي تعرضت لها، ومن ناحية أخرى تأثرها بما جرى بها في النصف الآخر من تلك الفترة الزمنية، وتراجع نسبى لمعدل نشاطها، ورحيل أدباءها إلى البلدان الأخرى، مما جعل للأحوال السائدة أثرًا كبيرًا على ازدهار الحركة الأدبية من جانب، ويمكن القول بأن كان للازدهار الأدبي الذى عايشته القيروان خلال تلك المرحلة عدة نواحٍ اتصلت ببعضها البعض مكونة بداخلها نسيجًا مزخرفًا بألوان متعددة من الأشكال التي حملت المعاني والأفكار، ويتبين تميز هؤلاء الأدباء، ومعايشتهم للأحداث الواقعة بينهم وذكرها في قصائدهم.

وقد شهدت فترة القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) تنوعًا بارزًا للأغراض الأدبية، وتناولت الأحداث التي تأثرت بها القيروان، فمنها الإشادة بالبيت الحاكم والمثقفين على حد سواء، ومنها ما تناولته من أحداث الثورة الدينية والإشادة بها، وبما قدمته من تغيير للوضع الديني، وما ترتب عليه من استقرار واستقلال لأحوالها، إلى جانب الأغراض الأخرى التي تعرضوا لها، مما جعل الشعر أداة طيعة بارعة لوصف الحياة العربية[٢٤]، ولم تكن تلك الأغراض التي تناولوها قاصرة على الشعر، وإنما كان للنثر والرسائل التي برزت خلالها نصيب من تلك الأغراض.

وعلى الرغم من تعدد الأغراض التي تناولها الأدباء في قصائدهم فقد كانت الأحداث التي مرت بها القيروان طيلة تلك الفترة المنوطة بالبحث من أكثر الجوانب التي أثرت على الأدباء وإبداعاتهم، فقد تعرضت لثورة دينية هادفة إلى الاستقلال مذهبيًا عن المذهب المفروض عليهم من جانب بيت الخلافة الفاطمي، ووردت الكثير من القصائد التي عبر بها الأدباء عما حدث، ومن ذلك تلك التي وضعها أبو الحسن الكاتب المعروف بابن زنجى وقال فيها:[٢٥]

شقى الغيظ في طي الضمير المكتم ... دماء كلاب حللت في المحرمِ
فلا أرقا الله الدموع التي جرت ... أسى وجوى فيما أريق من الدمِ
هي المنة العظمى التي جل قدرها ... وسارت بها الركبان في كل موسمِ

ونذكر أيضًا ما أورده السيد عبد العزيز سالم، أن واضعها يخاطب المعز الزيري على حسن صنيعه في التخلص من تلك الفئة التي عاثت فسادًا بينهم، ونذكر منها:[٢٦]

يا معز الدولة عش في رفعة ... وسرور وأغتباط وجذلِ
أنت أرضيت النبي المصطفي ... وعتيت في الملاعين السفلِ
وجعلت القتل فيهم سنة ... بأقاصي الأرض في كل الدولِ

ومن خلال ذلك؛ نجد أن المدح كان من أكث رتلك الأغراض تناولاً، وله بريقه ورونقه وسط بقية الأغراض التي يتطرق إليها الأدباء، واتضحت الكثير من الأبيات الدالة على ذلك، بل لقد كانت الوسيلة لدى البعض لكى يتقربوا من الحاكم، وأوردنا فيما سبق بخصوص التشجيع من البيت الحاكم للعلم والعلماء بعضًا من صور المدح التي ذكرتها المصادر والروايات، ويشير ابن رشيق إلى أنه " إذا مدح ملكًا لابد على الشاعر الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية، ويتجنب التقصير والتجاوز والتطويل"[٢٧]، مما جعل أشعار المدح هي السمة الرئيسة للبلاط الحاكم، ويقول إبراهيم الدسوقي إن "الشاعر المادح من مقتضيات البلاط"[٢٨]، ونخرج من كلمات الدسوقي بأن شاعر البلاط كان منوطًا بقصائد المدح للوالي، وذلك بجانب نظمه لقصائد أخرى تتناول موضوعات مختلفة، إلا أن ارتباطه بالحاكم في أغلب الأوقات كان يحتم عليه تقديم فروض الولاء والطاعة للحاكم، وأشارت الرواية إلى ارتباط الشاعر ابن رشيق بالمعز الزيري، وتمكن بجانبه من نظم مئات القصائد المدحية، وأوردت الرواية الكثير من أبيات المدح، ويكفي أن ندل على ذلك ببعض منها[٢٩]:

يا ابن الأعزة من أكابر حمير ... وسلالة الأملاك من قحطانِ
من كل أبلج آمر بلسانه ... يضع السيوف مواضع التيجانِ

وحال المادحين في القيروان كغيرهم في كل عصر، القصد من وراء مدحهم المكاسب التي يتحصلوا عليها من خلال اتصالهم بالبيت الحاكم، ورعاية الوالي للحركة الأدبية فقد تطلعت الأقلام لكتابة أبياتٍ تبعثها مدحًا للوالي، وتزين عباراتها وجملها بأحسن المعاني وألطفها، كتلك الأبيات التي كتبها إسماعيل بن إبراهيم أبو الطاهر بن الخازن في مدح المعز الزيري، ونذكر منها:[٣٠]

رفيع العماد ورى الزناد ... عظيم الرماد هني القرا
وأندى نباتًا من الزاخرات ... ففيض البحور لديها حسا
وأنور وجها من النيرين ... إذا الخطب في مضمحل دجا

ونذكر أيضًا القصيدة التي نظمها إسماعيل بن إبراهيم القيرواني اللغوي الزويلي في مدح المعز بن باديس ويقول فيها:[٣١]

وله من ذوابة حمير وسنائها ... وسنام يعرب الرفيع العالي
أضحت به الدنيا عروسًا تُجتلى ... وتبلجت عن زهرة الآمالِ

ومع ذلك فلم يكن المدح مقتصرًا على الحاكم والإشادة بشخصه وأعماله التي يقوم بها وما يقدمه من إنجازات للدولة، فمن ضمن ما نُشر للمدح أبياتًا الغرض منها الإشادة بالمثقفين، وبراعتهم فيما ينتجونه من كتب وخدمتهم للعلم، ويذكر حركات أن "في مدح المثقفين تنصيب الأوصاف على سعة ثقافتهم وإشعاعهم وفضلهم على الأمة"[٣٢]، ونذكر من ذلك أبياتًا وضعها إبراهيم بن الكاتب في مدح محمد بن أبي العرب الكاتب، ويعرض براعة الكاتب في استخدامه الألفاظ كأنها أحرف من ذهب، وكتابته بالحبر مما يزيد الخط جمالاً، وفيها دلالة أخرى على منزلة الكاتب وبلاغته وكتابته لديهم، وهى كالتالي[٣٣]:

يوشح ديباج البلاغة أحرفًا ... يكاد يرى روضًا يوشحه الزهرِ
ويفصح خطه لفظًا من فصاحة ... ويشرف من تحبير ألفاظها الحبرُ

كما كان للرثاء نصيب كبير إلى جانب المدح، وهى البكاء والنحيب لفقدان شخص عزيز أو تعرض الوطن لأضرار بالغة، ولأنه يقوم على الإحساس المرهف، وترجمة ما يشعر به الأديب من مشاعر، فقد أدرجه البعض ضمن فئة "الشعر العاطفي"، وأن هذا الجانب من الشعر "أقرب إلى الصدق في الرثاء على الشهداء والأقارب والمثقفين كما يضم ما خص المدن المنكوبة".[٣٤] ويُقسم الرثاء إلى نوعين أحدهما خاص بالنحيب على الأشخاص، والآخر نحيب على الوطن وفقدانه؛ بالنسبة للبكاء على الأشخاص، نجد الكثير من الصور المعبرة متعلقة بالفقهاء والمثقفين القيروانيين، ونورد منها رثاء الشاعر ابن رشيق لقاضى بلدة المحمدية، وأنشد يقول:[٣٥]

العفر في فم ذاك الصارخ الداعي ... ولا أجيبت بخير دعوة الداعي
فقد نعى ملء أفواه وأفئدة ... وقد نعى ملء أبصار وأسماع
توفي الطاهر القاضي فوأسفاه ... إن لم يؤف بتاريخي وأوجاعي

ومن أبيات الرثاء التي ينظمها الأدباء تحية لشخص المتوفي، وبيان لعظيم علمه وفكره، رثاء الفقيه التونسي الذى كان له باع كبير في الدراسات الفقهية، والفتاوى الكثيرة التي صدرت من خلاله، وقد ذاعت شهرته على الأكثر من خلال تلك القضية الخلافية التي قامت بينه وبين ذويه من الفقهاء، وتدور حول فتواه بإمكانية التعامل مع الشيعه، ومع الرفض القاطع لوجودهم، وبخلاف ذلك كان يتمتع بمكانة دينية بارزة، ورثاه ابن رشيق بأبيات بليغة المعنى وألفاظِ رقيقة، مشيرًا إلى أن وفاته ليست مصابًا أليمًا للقيروان وحدها بل لسائر البلدان، ونذكر من تلك الأبيات:[٣٦]

يا للرزيه في أبي إسحاق ... ذهب الحمام بأنفس الأعلاقِ
ذهب الحمام بخاشع متبتل ... تبكى العيون عليه بإستحقاقِ
ذهب الحمام ببدر ثم لم يدع ... منه الردي إلا هلال محاقِ
ما القيروان أذاقت ثكلك وحدها ... قد ذاق ثكلك سائر الآفاقِ

ومن الصور الأخرى رثاء الشيخ الفقيه أبى الحسن القابسي، الذى كان شيخ الفقهاء وأستاذهم، وعند وفاته تسابق الشعراء في نظم الأبيات التي ترثيه بمعانيها الجزلة، ووصلت تلك القصائد إلى نحو مائة مرثية، وأُقيم المبيت على قبره وأُنشدت المراثي سنة كاملة[٣٧]، ورثاء نظمه الفقيه أبو محمد عبد الله بن يحيى الشقراطي عند وفاة الشيخ أبو الطيب عبد المنعم بن محمد الكندي [المتوفي سنة ٤٣٥هـ/ ١٤٥م]، فكان عالمًا فقيهًا، ومن خلال تلك الأبيات تتوضح براعته في دراسة الموطأ والبخاري وغيرهما من كتب الحديث، ونذكر منها:[٣٨]

وقلت بعبد المنعم بن محمد تنال جسيمات وتقضى مآربِ
فمن للموطأ والبخاري بعده إذا بهرت منها الرجال للغرائبِ
ومن لأصول الفقه ينظم سلكها إذا اشتبهت إعجازها والغوارِبِ

ونذكر رثاء ابن الخواص الكفيف لمحمد بن أبي زيد:[٣٩]

هذا لعبد الله أول مصرع تُزار به الدنيا وآخر مصرعِ
كادت تميد به الأرض خاشعة الربى وتمور أفلاك النجوم الطلعِ
عجبًا أيدرى الحاملون لنعشه كيف استطاعت حمل بحر مترعِ ؟!

ورثاء الوراق التميمي للفقيه ابن خلدون، وقد دُفن بالليل:[٤٠]

دفنوا صبحهم بليل وجاؤوا حين لا صبح يطلبون الصباحا

وإلى جانب ذلك كان الوصف من الصور التي تناولتها قصائدهم، وأعطت بدورها صورة جمالية لمكنونات الأشياء التي يستخدمونها، ومنها يصف العملات المتداولة والحيوانات التي يعرفونها والقصور، ويذكر حركات أن "هذا اللون يخضع لخصوصيات البيئة الإقليمية والمحلية، فقد تصف حيوانات وعماريات"[٤١]، ومن الدلائل التي تكشف عن الوصف وتناول الأدباء القيروانيين له، وصف ابن رشيق قصر الأمير المعز بن باديس بصبرة، ومن أبياته:[٤٢]

وحللت من علياء صبرة موضعًا أكرم به من موضع ومكانِ
زادت بناة على الخورنق بسطة وحوت أعز حمى من النعمانِ

كما كانت العملات المستخدمة لديهم نصيب من وصف الشعراء لها، كتلك التي وضعها ابن شرف في الدرهم والدينار، ونذكر منها:[٤٣]

ألا رب شيء فيه من أحرف اسمه نواة لنا عنه وزجر وإنذار
فتنا بدينار وهمنا بدرهم وآخر ذا هم وآخر ذا نار

ومن وصفهم للحيوانات التي كانت لديهم آنذاك، وصفهم للزرافة، والدافع لذلك العمل كانت محاباة للأمير المعز فيما وصل إليه من هدايا، وكانت تلك من ضمن الهدايا، ونذكر منها:[٤٤]

غريبة أشكال غريبة الدار لها لون خطى فضة ونضار
فلون لها لون البياض وصفرة كما مزجت بالماء كأس عقار

وعلى الرغم من أن أكثرية الدلائل الأدبية التي وردت تشير إلى العبارات الحسنة الرقيقة فيما تناوله الأدباء للمدح، والوصف بالصور الجمالية، والرثاء بالكلمات القوية الرنانة، فقد تناولوا جانب آخر من تلك الأغراض وهو الهجاء، وبرزت لدى البعض منهم دلالات عدة، واتضح خلالها الاعتراض من جانبهم على أمر من الأمور، وذكر الأغلاط التي يقع فيها البعض وتصبح بصمة سيئة لديه مما يجعل البعض يستغلها في نظم أبياتٍ بصددها، وعلى ذكر الهجاء قال حركات بأن "من أسوئه ما ينصرف إلى الآخرين وتصرفاتهم وقد يكون متبادلاً"[٤٥]، ومن ما ذكره ابن شرف في هجوه لقاضي المعز الملقب "بفسوة الكلب" قائلاً:[٤٦]

إنا إلى الله راجعون لقد هان على الله أهل ذا البلدِ
وفسوة الكلب صار قاضيًا فكيف لو كان خرطة الأسد؟!

ومما ذكرته الأدلة عن الهجاء وذيوعه، أن الشائع وقوعه بين الأدباء نتيجة الغيرة الأدبية والتنافس بينهم، ونذكر منه هجاء الحصري لأبي العرب الصقلي[٤٧]، والهجاء الذى ذاع أمره بين ابن رشيق وابن شرف، ونجم عنه عدة رسائل يُذكر فيها الأغلاط والعيوب التي يراها كلا منهما في الأخر، وكانت لإثارة روح التنافس والمباراة[٤٨]، ومن خلال ذلك فقد أولى أبناء القيروان اهتمامًا بالغًا بالنواحي الأدبية، وتعمقوا في الجانب الاجتماعي والعاطفي، ومتابعتهم للأحداث الجارية وإبداء آرائهم بشأنها في قصائدهم، كما أحدثوا اهتمامًا بالناحية الدينية، مما عُرف هذا الجانب بالشعر الديني، وذكر حركات بأنه" يتناول شتى الجوانب التي تتصل بالعلاقة بين العبد وربه، وما يخص القرآن الكريم والمدائح النبوية، كما يعرض التوجيه الديني وحياة الزهد، وسائر ما يرتبط بالإحساس الديني".[٤٩] مما جعل لإحدى التفرعات الأدبية التي وضحت بينهم صدًى لدى البعض، وخاصةً شعر الزهد والوعظ الذى وجد إقبالاً منهم، وشاع عن هذا النوع اسم "الرقائق"، وكانت ذا عناية لدى البعض لحضور المجالس التي تُعقد بشأنها، إلا أن آخرين رفضوا حضورها وأنكروها.

وهذا الازدهار الذى تمتعت به الحالة الأدبية ما لبث أن تغير في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، لما حل بالقيروان من كارثة بشرية جلبت عليها الخراب والانهيار، ودفع الأدباء للانكباب على أنفسهم لرثائها والبكاء على فقدانها، وبكاء المدن وأطلالها، وبرزت الكثير من القصائد التي تتعلق بالبكاء على دمار وانهيار لأحوالها الداخلية؛ وترتب على ذلك أن أفصح الكثير منهم عن المشاعر والأحاسيس التي اكتنفتهم من جراء تلك الأحداث التي عكرت صفو الحياة بالقيروان، وذلك في الأبيات التي نُظمت، ودل على تأسيهم وحزنهم، ونذكر بكاء ابن رشيق متسائلاً عما تعرضت له من جراء السلب والنهب الذى أصابها، وفقدها للنهضة التي تمتعت بها، ورحيل أبنائها وتفرقهم في الأوطان، ويتحسر على ما بلغته من ارتقاء، ونتيجة هذا الخراب أعادها إلى سالف عهدها في الأزمان الغابرة، ومن تلك الأبيات نذكر:[٥٠]

أترى الليالي بعد ما صنعت بنا تقضى لنا بتواصل وتدانِ؟!
وتعيد أرض القيروان كعهدها فيما مضى من سالف الأزمانِ
أمست وقد لعب الزمان بأهلها وتقطعت بهم عرى الأقرانِ
فتفرقوا أيدي سبأ وتشتتوا بعد اجتماعهم على الأوطانِ

ومما أورده ابن شرف في خراب القيروان على يد الأعراب نذكر:[٥١]

كأن الديار الخاليات عرائس كواسد قد أزرت بهن الضرائرُ
وتنكر بقياها الأسرة حسرًا عواطل لا تفشى لهن السرائرُ

وقد رصدت القصائد الأدبية الكثير من الحوادث التي تعرضت لها القيروان؛ ومن ذلك ما ذكره تميم بن المعز في حرب بين طائفتين من العرب وهما عدى ورياح، وتدور الواقعة حول مقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه، مما كان صلحهم يضر بتميم وبلاده، فقال أبياتًا يحرض فيها على الطلب بدم المقتول:[٥٢]

متى كانت دماؤكم تطل أما فيكم بشار مستقلُّ؟!
أغانم ثم سالم إن فشلتم مما كانت أوائلكم تذلُّ
ونمتم عن طلاب الثأر حتى كأن العز فيكم مضمحلُّ

ويذكر حركات أنه قد "أنتشر بها أدب شعبي بين الأعراب، أو حملوه معهم من صعيد مصر منذ القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، وهو يتناول شتى المضامين كالفخر والمواجهات الحربية والمواقف السياسية والغزل والهجرات"[٥٣]، ونستدل على أن هؤلاء القوم الذين هبطوا عنوة أرض القيروان كانوا يتمتعون بثقافة أدبية خاصة بطبيعة بيئتهم التي خرجوا منها، غير أن ما أشير إليه أن هذا الجانب من الأدب يُعرف بالشعر الشعبي، وأطلق عليه ابن خلدون اسم "الأصمعيات"، وأشار إلى أن المشارقة يسمونه "الشعر البدوي"، كما أورد بعضًا من أشعارهم على لسان الشريف بن هاشم الذى يبكى الجازية بنت سرحان برحيلها وظعنها مع قومها إلى المغرب، ونذكر منها:[٥٤]

الشريف ابن هاشم على إلى ظرا كبد حرى شكت من زفيرها

وفي ظل هذا الاهتمام الكبير بالثقافة الأدبية، أعطى القيروانيين جانبًا من توجهاتهم للنثر، وهو يُعَدّ ثمرة من ثمرات الإبداع التي يخرجها اللسان العربي، وورد أن الأغراض النثرية تتضمن النواحي الفنية والاجتماعية والدينية والوصفية والسياسية والحربية[٥٥]، وذكر ابن خلدون بأنه "يُؤتى به قطعًا، ويلتزم فيه بكلمة أو كلمتين منه قافية واحدة ويسمى سجعًا".[٥٦] ونستدل بأن للشعر والنثر أغراضًا مماثلة يتبعها الأديب في كتابته ونظمه لها، وقد أتضح بعض من تلك الاهتمامات النثرية، وأكثر تلك الدلائل في الرسائل التي تبادلها ابن رشيق وابن شرف، ونورد على سبيل الإشارة كتاب "أبكار الأفكار" لابن شرف[٥٧]، وضم الكثير من النصوص، وأورد منها الأصفهاني مقتطفات من منثور كلامه، ونذكر منها:

"أذى البراغيث إذا البراغيث، برى عليل برانا، وأثرى فقير ثرانا، وتاريخ ذلك انصرام بأخر، وقد بلغت القلوب الحناجر، بحمارة أحمرت لها خضرة السماء، وأغبرت مرآة الماء، حتى أنهل طالع وسمى، وتلاه تابع ولى، دنا فأسف، وكف فما كف، فما فتئ ثرثارًا قطرة، محجوبًا شمسه وبدره، حتى إذا جاء ركيه بالطام، وخيف أعظام الأطام، وقال حوض الأرض لماتح المزن حسبى، قد ملأت وطبى، رفع حجاب السماء، وغيض طاغى الماء، وأطلق طلق الهواء، من عقال الظلماء، وجليت عروس الشمس، معتذرة من مغيبها بالأمس، وطفقت ترتشف ريق الغدران حتى جف عبراتها، وتعانق أعناق الغدران حتى خفت حسراتها، فعندها مزق عن الدقعاء صحيح أهابها".[٥٨]

ونلاحظ من خلالها السجع الذى تحدث عنه ابن خلدون في أنه يلتزم كل كلمة أو كلمتين بقافية واحدة، وأشار أبو القاسم كرو إلى هذه الصنعة بأن الوارد بها التزام السجع، والإكثار من الاستعارات، وأنواع المجاز[٥٩]، وأيضًا من الرسائل النثرية، رسالة الحول لأبى إسحق إبراهيم الأجدابي، وقد دافع فيها عن إصابته وغيره بالحول بعد أن عيره البعض به، ورسالة "ساجور الكلب" في الرد على ابن شرف لابن رشيق.[٦٠]

ثانيًا: أدباء القيروان

ومن أدباء القيروان خلال تلك الفترة الزمنية:

- **عبد الكريم النهشلى** [المتوفي سنة ٤٥هـ/١١٤م][٦١]: من أبرز أدباء تلك الفترة وأكثرهم براعة في نظم الشعر، ويُعد من رواد القيروان لتلك المرحلة، ويقول عنه نوبار بأنه "عالمٌ لغويٌ بجانب نبوغه في الأدب والنقد الشعرى"[٦٢]، ونظرًا لذلك فقد تتلمذ على يديه الكثير من الأدباء، وأخذوا عنه أرائه وأفكاره ومنهجه في دراسة الأدب، ونقلوا عنه الكثير في كتبهم ومؤلفاتهم، ونتيجة ذلك الاهتمام الذى أبداه في دراسة الأدب، برز الكثير من أفكاره التي دونها في كتاب يحمل اسمه، وقد يكون هذا الكتاب هو الوحيد الذى ذكرته الروايات، وهو كتاب " الممتع في علم الشعر وعمله"، وتناول في داخله الأخبار عن الأدب وأساليبه التي انتشرت بين العرب، وأشار أحمد يزن قائلاً "الكتاب يضم الكثير من علم الأدب وفنونه وتاريخه ونقده، إلى جانب تناوله الحديث عن كلام العرب وبيانهم، وأن النهشلى رتب موضوعات الكتاب على أبواب كثيرة وفي كل باب يعالج مسألة معينة "[٦٣]، مما جعله يقدم لنا وصفًا له، ويشير من خلاله إلى مدى الاهتمام الذى يتضح من جانب النهشلى للأدب ودراسته، ونال الكتاب أهمية كبيرة لدى أدباء العصر، وعلى رأسهم ابن رشيق القيرواني، الذي أخذ منه الكثير من الآراء، والتي وصلت إلى (٣٤) رأيًا.[٦٤]

أما من الجوانب الداعية للذكر عن الكتاب، أنه لم يصل كما وضعه النهشلى، وإنما ما دل عليه دراسة المحقق للكتاب بأنه ليس ما وضعه النهشلى بيده كاملاً بداخل صفحات الكتاب، وأن الكتاب الأساسي للممتع لم يصل كاملاً، وإنما ما سقط في يده قطعة منه تحمل اسم "اختيار الممتع في علم الشعر وعمله"، ويبرر الدكتور القطان بأن السبب وراء ذلك أنه قد قام أحد النساخ باختصاره من الكتاب الأصلي، وأنه قد قطع العديد من آرائه وتعليقاته.[٦٥]

- **أبو إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني** [المتوفي سنة ٤١٣هـ/١٢٢م][٦٦]: من الأدباء البارزين، ويقول عنه ابن رشيق بأنه "شاعرٌ نقادٌ عالمٌ بتنزيل الكلام وتفصيل النظام تشبهًا بأبي تمام في أشعاره، ومتتبعًا لآثاره"[٦٧]، وكانت له صولات وجولات في دراسة الأدب، وأرتبط في حياته بطلبة العلم، وكانوا يجتمعون إليه ويستمعون له، وتخلف عنه الكثير من الكتب التي تبرز اهتماماته الأدبية، ونذكر من تلك الكتب التي أوردتها المصادر والروايات التالي:

- كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب"، وتناول فيه الكلام عن الصحابة والتابعين، والشعر في زمنهم، ويذكر محقق الكتاب أنه تناول " الكلام عن الصحابة والتابعين فينقل أخبارهم، وعنى بالبلاغة والبلغاء والشعر والشعراء، واهتمامه بالآداب الاجتماعية"[٦٨]، وأشار أبو القاسم كرو إلى أنه تناول بداخله النقد الذاتي[٦٩]، وأوضح أن هذا الكتاب وضعه على طريقة التبيان والتبيين للجاحظ[٧٠]، وقد اتضح ذلك من خلال تحليل الحصري للدراسة الأدبية في عهد الصحابة، والدافع وراء تأليف الكتاب، يعود إلى أنه قدمه بناء على طلب أبي الفضل العباس بن سليمان الكاتب، وكان تأليفه سنة [٤٥ هـ/١١٤م][٧١]، ووضعه قبل وفاته بعشرين عامًا[٧٢]، وقد نال الكتاب اهتمام الأدباء والمثقفين، وانتشرت الاستفادة منه لفترات طويلة، حتى أن وصل إلى عناية أدباء القرن (الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) واهتماماتهم، وتناقلته الأيدي بالدراسة والفهم لمحتوياته، وذلك ما دل عليه حركات من أن الغبريني درس ببجاية كتاب زهر الآداب للحصري.[٧٣]

- كتاب "جمع الجواهر في الملح والنوادر".[٧٤]

- كتاب "طيبات الأغاني ومطربات القيان"، وذكر أنه من الكتب المفقودة.[٧٥]

- كتاب "المصون في سر الهوى المكنون"، وتناول فيه مسائل الحب كما كانت في عصره.[٧٦]

- كتاب "نور الطرف ونور الظرف"، وذكر أن الدافع وراء هذا الكتاب أنه بناء على طلب أحد كبراء العصر[٧٧]، كما امتدت مؤلفاته إلى ديوان شعر خاص به.[٧٨]

- **ابن غانم الكاتب** [المتوفي سنة ٤٢١هـ/١٣م][٧٩]: شاعرًا لطيف المعاني والألفاظ، ذكره ابن رشيق في الأنموذج، وأشار إلى أنه كان "رشيق المعاني ووجيزها، صافي المزاج على أسلوب واحد منفردًا بعلم المساحات، والأشكال، غواصًا في بحر الحكمة، قليل المدح والهجاء "[٨٠]، ولم يدلنا على كتبٍ تتعلق بالأدب من تأليفه.

- **عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير**: وقال السيوطي: "إنه يسلك مسلك أبي العتاهية في سهولة الطبع ولطف التركيب" ومن شعره[٨١]:

ولست كمن يجرى على الهجر مثله ولكنني أزداد وصلا على الهجرِ
وما ضرني إتلاف عمري كله إذا نلت يومًا من لقائك في عمريِ

وقال عنه ابن رشيق إنه لُقب باسم ابن البقال الضرير، وكان ملازمًا لنصير الدولة باديس، ولشدة تعلقه به ترك ألوف الدنانير، ومن شعره لعبد الله الكاتب وقد أراد إدخاله في دعوته:[٨٢]

لكم على وفاء ما حييت ولا أعدو رضاكم ولا أرضى بكم أحدا
لا تسألوني عن ديني فأسخطكم لا بعت ديني بدنياكم إذن أبدا

ولكن نجم عن تلك الأبيات أن أعرض عنه الكاتب، ولم يتعرض له بهذا الشأن

- **محمد بن جعفر القزاز** [المتوفي سنة ٤١٢هـ/١٢م]: برع في الشعر، ويقول حركات بأنه "عالم العربية بالدرجة الأولى"[٨٣]، وله الكثير من الكتب، ونذكر التالي:

١- كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة، وقال عنه "هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله، ما يجوز للشاعر عند الضرورة من الزيادة والنقصان، والأتساع في سائر المعاني من التقديم والتأخير، والقلب والإبدال، وما يتصل بذلك من الحجج عليه، ويتبين ما يمر من معانيه، فأرده إلى أصوله، وأقيسه على نظائره، وهو باب من العلم لا يسع الشاعر جهله، ولا يستغنى عن معرفته، ليكون له حجة لما يقع في شعره، مما يضطره إليه من استقامة قافية أو وزن بيت أو إصلاح إعراب"[٨٤] كما عُرف كتاب "ضرائر الشعر" للقزاز القيرواني، باسم "ما يجوز للشاعر استعماله في الضرورة"، وأورد حسن حسنى عبد الوهاب بأن عبد الرحمن بن عبد الله المعافري المطرز القيرواني قام بعمل نسخة منه سنة [٤٣١هـ/١٤م].[٨٥]

٢- كتاب " إعراب الدريدية "، وتناوله في مجلد واحد، ويقول الكعبي أنه قصيدة يمدح بها ابن دريد اللغوي البصري [المتوفي سنة ٣٢١هـ/٩٣م]، وتتألف من ٢٢٩ بيتًا، وقد عارضها وشرحها وأعربها جمهور من الشعراء واللغويين والنحاة، ويُعد شرح ابن هشام من أجود الشروح[٨٦]، وقد أفاد حسن حسنى عبد الوهاب بأن هذا الكتاب عُرف باسم "إعراب الدريدية وشرحها "، وهو عبارة عن قصيدة مشهورة بمقصورة ابن دريد في مدح الشاه ابن ميكال.[٨٧]

- **ابن شرف** [المتوفي سنة ٤٦هـ/١٦٧م][٨٨]: من الأسماء الشائعة على المحيط الداخلي والخارجي، وبلغ درجة كبيرة من التميز، ونال قدرًا من التعليم الديني على يد شيوخ القيروان، وعُرف بلقب "الإمام الفقيه المتفنن "إلا أن ميوله الأدبية طغت على غيرها من العلوم[٨٩]، وتنوعت اهتماماته الشعرية والنثرية، ونتبين ذلك من الكتب الكثيرة التي وردت تحت اسمه، فمن تأليفه النثرية "رسائل الانتقاد" وتحتوى على أحاديث متنوعة، بلغت عشرين حديثًا[٩٠]، ويذكر أن الدافع وراءه هو هو معارضة خصمه ابن رشيق وكتابه "العمدة"[٩١]، واتضحت خلال تلك المرحلة الاهتمام بالنثر إلى جانب بالشعر ومن ذلك ما كتبه ابن شرف من كتب نثرية، منها كتاب "أبكار الأفكار"[٩٢]، وكتاب "أعلام الكلام "وقد أورد ابن شرف أنه "ألف تلك الأحاديث مختلفة الأنواع مؤتلفة الأسماع عربيات المواشم غريبات التراجم"[٩٣]، ويذكر الشنتريني عن كتاب "أعلام الكلام "من قول ابن شرف في مقدمة كتابه: "قد أطلت الوقوف بالعكوف على غير ما تصنيف، في شتى الأنواع، فلم أرها الا ولدًا عن والد، وطارقًا عن تالد"، وعن كتابه أبكار الأفكار قال: "يشتمل على مائة نوع من مواعظ وأمثال، وحكايات قصار وطوال، مما عزوتها إلى من لم يحكها، وأضفت نسجها إلى من لم يحكها، وقد طرزت بلمح الجد والهزل، وحسنت بمقابلة الضد للمثل."[٩٤] ومن قول ابن شرف في بداية حديثه عن رسائل الانتقاد: "هذه أحاديث صنعتها مختلفة الأنواع مؤتلفة في الأسماع، عربيات

المواشم، غريبات التراجم، واختلفت فيها أخبار فصيحات الكلام، بديعات النظام، لها مقاصد ظراف، وأسانيد طراف، يروق الصغير معناها، والكبير مغزاها، وعزوتها إلى أبى الريان الصلت بن السكن، من سلامان، وكان شيخًا هما في اللسان، وبدرًا تمًّا في البيان، قد بقى أحقابًا ولقى أعقابًا، فأقمت في هذا النحو عشرين حديثًا، أرجو أن يتبين فضلها".[٩٥]

وذكر بروكلمان أن من مؤلفاته "مقامة في مشاهير الشعراء"[٩٦]، واهتمام ابن شرف بالأدب وأغراضه من النواحي التي دلت على تأثره بالمشرق، وأورد عن ذلك البديعي أنه "تأثر بأبي تمام الطائي"[٩٧]، ومن خلال الروايات الدالة على عنايته بالشعر، تعبيره بقصائد كثيرة عن الأحداث التي تعرضت لها القيروان، ففي وصفه لخراب القيروان على يد الأعراب:[٩٨]

كأن الديار الخاليات عرائس ... كواسد قد آزرت بهن الضرائرُ
وتنكر لقياها الآسرة حسرا ... عواطل لا تفشى لهن السرائرُ
إذا اقبل الليل البهيم تمكنت ... بها وحشة منها القلوب النوافرُ

- **ابن رشيق** [المتوفي سنة ٤٦٣هـ /١٧م] : يعود الأصل في موطنه إلى المسيلة، وبعد استقراره بالقيروان نُسب إليها[٩٩]، ولم يرض بحياته الكادحة وتركها في سبيل الشعر، واتخذ موهبته طريقًا نحو المستقبل، فأخذ يتقرب إلى الشعراء القيروانيين ويعرض عليهم قصائده، إلى أن سنحت له الفرصة للاتصال بكبير شعراء البيت الحاكم ابن أبي الرجال الشيباني[١٠٠]، وقد عنى بالشعر وأستغل المدح في التقرب من الوالي، حتى أن أصبح شاعر البلاط، والتحق بديوان المراسلات[١٠١]، وكانت له الكثير من التآليف، ورصد عبد الرؤوف مخلوف مؤلفاته وأتضح أنها وصلت إلى ٣٢ كتاب[١٠٢]، ونذكر من كتبه التالي:

- كتاب "العمدة" : أول الكتب التي وضعها، ولم يذكر السنة التي قام بتأليفه خلالها، وإنما الدافع إلى كتابته هي أن إهداءه إلى أستاذة ابن أبي الرجال[١٠٣]، ونال أهمية كبيرة لدى المهتمين بالشعر، وتناول في محتواه الكثير من أساليب الشعر وصورتها لدى شعراء الإسلام، وقال عنه ابن خلدون بأنه " أنفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها، ولم يكتب أحد فيها قبله ولا بعده"[١٠٤]، وأوردت الدراسات عنه أنه من كتب النقد الأدبي التي شاعت بينهم، وأشار حركات "ولما كان الأدب مثل أي فن أو علم أخر لا يزدهر أو يجد إقبالاً كافيًا لدى القراء والهواة إلا بانفتاح المبدعين والمؤلفين على حركة النقد البناء، فإن المغاربه بطبعهم يميلون إلى النقد الأدبي أيضًا، وكتب محمد بن جعفر القزاز القيرواني ما أخذ على المتنبي من اللحن والغلط، وكذلك وضع الحسن بن رشيق في الرد على ابن شرف مذكرة نقدية بعنوان ساجور الكلب، وما كان كتاب "العمدة" إلا دليلاً نقديًّا ممتازًا لابن رشيق وله أيضًا في مجال الرد والنقد رسالة قطع الأنفاس، ورسالة نقض الرسالة الشعوذية.[١٠٥]

ونخرج من تلك الإشارة بأن هناك الكثير من الكتب التي تدخل تحت نطاق النقد الأدبي، وعُدت دليل واضح على انتهاج أدباء القيروان سياسة النقد في مؤلفاتهم، ومن خلال الاطلاع على كتاب العمدة، نجد أنه يُعد من أبرز كتب الشعر التي تتحدث عن شعراء الإسلام، ويشير المحقق إلى أن ابن رشيق "قد جمع فيه أحسن ما قاله كل واحد ممن صنف في معاني الشعر ومحاسنه وآدابه".[١٠٦]

وعن أهمية الكتاب لدى أدباء العصر فقد نال عناية كبيرة في عصره وظل يتمتع بتلك المكانة، وتناولته الأيدي بالدراسة والتحليل، ودليل ذلك أن الفقيه اليسع بن عيسى بن اليسع الغافقي الأندلسي قد ذكر أن أبا الفضل جعفر بن محمد بن شرف [المتوفي سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م] كان يروى العمدة لابن رشيق عنه بالإجازة، وأجاز لي روايتها عنه بالإجازة عن ابن شرف عن ابن رشيق [١٠٧]، ونستدل من ذلك أن ابن رشيق قد أجاز الكتاب لابن شرف، وبالتتابع اجازه ابن شرف لابنه، ويعد دليل على أن الإجازة ليست قاصرة على الكتب الدينية فحسب، وإنما امتدت إلى كتب الأدب، وظل الاهتمام بدراسة الكتاب على مدى العصور التي توالت، وأفاد حركات أن العمدة كان يُدرس في القرن الثامن الهجري في فاس[١٠٨]، مما جعل لهجرات الكتب أثرًا كبيرًا في وصول الكتاب إلى فاس، وتوالى التدريس فيه لتلك الفترة.

- كتاب "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب": هو من الكتب التي كانت ذات خصوصية في الأدب لاحتواء مضمونه على جانب غير شائع لدى بقية المؤلفات التي تناولها أدباء عصره، وهو يتحدث في بداية الكتاب عن الرسالة التي بعثها إلى أبي الحسن اللواتي، يعرض فيها اعتراض البعض من الأدباء على عدد من الأبيات تحت ادعاء من جانبهم بسرقته لها، وأورد أحمد يزن بأن الكتاب أحتوى بداخله السرقات الشعرية منطلقًا من نقطة الدفاع عن النفس ضد التهمة التي وجهها إليه أحد المعترضين[١٠٩]، ولم يكن الكتاب كبير الحجم، وأشار ابن خلكان إلى أنه لطيف الجرم كبير الفائدة[١١٠]، وذكر مخلوف أنه قد قام بتأليفه سنة [٤٢٧هـ/١٣٦م].[١١١]

- كتاب "الأنموذج": من الكتب المهمة التي وضعها ابن رشيق، ووضعه بعد كتاب العمدة[١١٢]، وهو أقرب أن يكون ضمن كتب التراجم عن إدراجه ضمن الكتب الأدبية، فقد أورد بشكل مفصل عددًا كبيرًا من أدباء عصره، مما أفادنا في التعرف على الكثير من الأدباء الذين عجزت كتب التاريخ بالتحدث عنهم، وتناول بداخله ذكر الكثير من الشعراء، مما يُعد كتابًا راصدًا للشعراء الذين عاصرهم وعاصروه، وأكد على ذلك أحمد يزن في قوله "إنه ضم نماذج مختارة لشعراء القيروان المعاصرين له وتعرض فيه لأحوال حياتهم، ودرس شعرهم وكشف عن مذاهبهم واتجاهاتهم الفنية بطريقة موجزة "[١١٣]، وعن تاريخ كتابته للكتاب فقد أوضح المحقق التباين بين الكتابات الكثيرة حوله.[١١٤]

وبخلاف تلك التآليف التي تمكنوا من التعرف عليها عن قرب فقد أوضحت الدراسة بأن له ديوان شعر، وتناول في طياته٧٤٢ بيت، وحوى٢١٣قصيدة ومقطوعة، واختلفت الدراسات بشأن عدد أبياته[١١٥]، كما أوردت المصادر عدد من الكتب النثرية التي قام بتأليفها ونذكر منها: كتاب "طراز الأدب"، وكتاب "الممادح والمذام"، وكتاب "متفق التصحيف"، وكتاب "تحرير الموازنة "، وكتاب "الاتصال"، وكتاب "المن والفداء"، وكتاب "غريب الأوصاف"، وكتاب "أرواح الكتب"، وكتاب "شعراء الكتاب"، وكتاب "المعونة في الرخص والضرورات"، وكتاب "الرياحين"، وكتاب "صدق المدائح "، وكتاب" الأسماء المعربة"، وكتاب "أثبات المنازعة"، وكتاب" التوسع في مضايق القول"، كتاب "الحيلة والأحتراس"[١١٦]، مما كان لابن رشيق باع طويل في الدراسة الأدبية، وتنوع كتبه بين الشعر والنثر، وتنوع الموضوعات التي ضمتها تلك الكتب، وإلى جانب ذلك فقد تأثر ابن رشيق في أشعاره بالمشارقة، وأوردت إحدى الدراسات الكثير من كتب المشارقة التي أطلع عليها وأخذ منها، وأيضًا لقاؤه بأدباءها[١١٧]، وأضاف البستاني بأنه لم يبتعد عن المعرى.[١١٨] كما أوضحت الكثير من الكتابات على مكانة ابن رشيق في الخارج، ولكن قبل أن نتحدث عن علاقاته الخارجية، نشير إلى أمرين في غاية الأهمية أرتبط بهما ابن رشيق وهما المنافسة والسرقة الأدبية:

١/٢- المنافسة الأدبية:

يتضح من تاريخ ابن رشيق الكثير من التنافسات التي قامت بينه وبين أدباء عصره، وإن كانت أشهرها تلك التي قامت بينه وبين ابن شرف، وهذا التنافس الذى دار بين القيروانيين من أكثر الأمور التي تدل على عنايتهم بنظم الشعر، والالتزام بالقوافي والموازين التي يستخدمونها، ومن ناحية أخرى تمثل شيء من الخصومات الفنية التي تدفع أطرافها للقيام بإنتاج الأفضل، والوصول إلى المكانة البارزة، وتدل على ذلك تلك الردود المتبادلة بين الأدباء بشأن أحد الموضوعات التي تُطرح، وينكب الأديب على إثبات براعته في كتابة الكلمات المعبرة ذا البلاغة الفصيحة، وبناء عليه فقد أوردت الروايات صورًا لتلك التنافسات الأدبية خلال تلك الفترة وكان ابن رشيق وابن شرف بمثابة قطبي الحركة الأدبية بالقيروان آنذاك، ومن خلال تواجدهما معًا حاول كلاً منهما الترقي والوصول إلى المكانة البارزة من خلال نظمهم للأشعار والقصائد، وكانا لا يتركان مناسبة إلا وشاركا فيها، كما شجع على هذه المنافسة المعز الزيرى، فقد قامت بينهم مكاتبات ومخاطبات تشعل حس التنافس، وزاد على ذلك أن وُضعت القصائد والتصانيف التي تدل على مدى التنافس بينهما، ويقول إسماعيل شلبي: إن السبب وراء النهضة الشعرية تلك الخصومة القوية بين ابن شرف وابن رشيق.[١١٩]

وصورة التنافس تتبلور في أن ابن رشيق كان يقوم بإصدار قصيدة في خصمه ابن شرف، وبناء عليه يرد عليه ابن شرف، ومن خلالها كان يخرج معايب أقواله[١٢٠]، وأشار ابن خلكان في ترجمه ابن رشيق أن مر يومًا ابن شرف ممسكًا بكتاب أمامه، فقال له ابن رشيق: ما في كتابك، رد ابن شرف : الدريدية، وأعقبه بأحد الأبيات التي تقول "والعبد لا يردعه إلا العصا"، فرد عليه ابن رشيق[١٢١]:

أما أبى فرشيق لست أنكره قل لى أبوه وصورة من الخشبِ

ونذكر إحدى الصور التي يتضح فيها المهاجاة والتي كانت لا تُقدر لها وزن، ودون مراعاة لكلهما الآخر، بل كانا يستغلون عيوب بعضهما البعض في التنافس، وأشار الكتبي إلى التالي:[١٢٢] "كان ابن شرف أعورًا، وبناءً عليه استغل ابن رشيق الأمر في مهاجاة خصمه، وقد قال له ابن شرف:

ومنزل لا كان من منزل النتن والظلمة والضيق
كأنثى في وسطها فيشة ألوطها والعرق والريق

فرد عليه ابن رشيق قائلاً:

وأنت أيضًا أعور أصلع فصادف التشبيه تحقيق

وحتى في ظل تعرض القيروان للانهيار، والخراب حل بها، لم تترك المنافسة مكانًا إلا توضحت معالمها داخل كلا الطرفين، ويذكر ياقوت الحموي أنه في غمرة النزوحات التي قام بها أبناء القيروان إلى البلدان الأخرى اتجه ابن شرف إلى الأندلس وكتب إلى ابن رشيق لكى يلحق به إلا أن ابن رشيق رد عليه رافضًا بقاءه بالأندلس قائلاً[١٢٣]:

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء مقتدر فيها ومعتضدِ
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكى انتفاخًا صولة الأسدِ

وأجابه ابن شرف قائلاً:

ترمك الغربى في معشر قد حيل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

وقد قام المعز بن باديس بإشعال التنافس بين الطرفين، ويعرض ابن شرف صورة ذلك بروايته عن دفع المعز لكليهما في أن ينظما أبدع ما عندهما فقال: "أستخلانا المعز يومًا وقال: أريد أن تصنعا شعرًا تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذى يكون على سوق النساء، فإني أستحسنه، وقد عاب بعض الضرائر بعضًا به، وكلهن قارئات كاتبات، فأحب أن أريهن هذا، فأنفرد كل منا في صنع هذا، فكان الذى قلت:

وبلقيسية زينت بشعر يسير مثل ما يهب الشحيحُ
رقيق في خدلجه رداح خفيف مثل جسم فيه روحُ
حكى زغب الخدود وكل خد به زغب فمعشوق مليحُ
فإن يك صرح بلقيس زجاجًا فمن حدق العيون لها صروحُ

وكان الذى قاله ابن رشيق:

يعيبون بلقيسية إن رأوا لها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها الترغيب ملحًا كمثل ما يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحًا

فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيبون وقال: أوجدت لخصمها حجة بأن بعض الناس عابه، فانظر ما ألطف هذه المناضلات، وما أحلى هذه الحكايات.[١٢٤]

ولم تكن المنافسة تقتصر على ما دار بين ابن شرف وابن رشيق، فقد ذكر الشاذلي من تلك المنافسة التي وضحت بين ابن رشيق والشاعر عبد الله بن محمد الجراوي، ويشير إلى أنه ذات يوم مر موكب المعز الزيري من أمامهم، ودار الحوار بينهما كالتالي[١٢٥]:

قال الجراوي: " لله درك من ابن لخير أب".

فرد عليه ابن رشيق قائلاً: "ما أشبه الشبل بالضرغامة الدرب".

فقال الجراوي: "هذا المعز لدين الله محتسب".

فرد ابن رشيق: "لا من سواه وليس الاسم كاللقب".

٢/٢- السرقة الأدبية:

تشكل السرقة الأدبية قضية كبيرة لدى البعض، وعلى رأسهم ابن رشيق، وقد أبدى النهشلي رفضه للسرقة الشعرية عما تعمد إليها البعض، وأشار إلى أن "اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه معنى سبق إليه جهل"[١٢٦]، وأورد ابن رشيق في العمدة رأى النهشلي قائلاً: "قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه على أن من الناس من بعد ذهنه، وهو في البديع المخترع الذى يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، ويُقال منتحل لمن أدعى شعرًا لغيره وهو يقول الشعر، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مدعٍ غير منتحل"[١٢٧]. ومن خلال الحديث عن ابن رشيق نجد أنه تناول في كتبه مناقشة السرقة وأسبابها، وخص كتابه" قراضة الذهب " لتناول موضوع السرقات الشعرية، وذلك نتيجة ما أتهم به من السرقة.[١٢٨]

ومن داخل الكتاب سنورد قطعة من حديثه، فقد كتب إلى أبى الحسن اللواتي قائلاً: "بلغنى أعزك الله أنك استحسنت معنى البيتين من مرثية الأمير سيدنا أبى منصور، وهما الأخيران من هذه الأربعة أبيات، وأن معنى من لا خلاق له في الأدب ولا معرفة له بحقائق الكلام، عارضك فيهما بالطعن ونازعك معناهما بالجهل وأدعى عليهما ضربًا من السرقات، ونوعًا من الأخذ ولم تؤت أيدك الله من قصر لسان ولا ضعف حجة وبيان، لكنهما أوتيت من سوء فهم صاحبك، وقلة إنصاف مشاغبك، لأن المعنى مأخوذ بزعمه إنما هو قول عبد الكريم النهشلى، فإن كان المعترض أراد ذكر هذا الارتعاد والارتعاش وذكر الأصابع والأنامل فصدق، وهذا لا يُعَدّ سرقة لأن القصد غير واحد، ولو أن هذا الناقد نصيرًا مدققًا فعرف ما بين المقصدين على قرب ما بين اللفظين"[١٢٩]، وكذلك من تأليفه في السرقات كتابه "كشف المساوئ في السرقات الشعرية"[١٣٠]، وقد ذكر الأصفهاني في كتابه إلى عدة أبيات شعرية لأبى الطيب الأزدي، وفي نفس العبارة ذكر أنهما لابن شرف في كتابه أبكار الأفكار، والأبيات هي:[١٣١]

قلم قلم أظفار العدى ... فهو كالأصبع مقصوص الظفرِ

أشبه الحية حتى أنه ... كلما عمر في الأيدى قصرِ

وقد أشار الشنتريني عن السرقة التي أتهم بها ابن رشيق بأنه أفتضح في سرقة شعر غير واحد من أهل تلك الآفاق من شعراء الشام والعراق، إذ كان ورد بها وهى بغبار السفر، فاشتهر بها في غير ما غبر وخبر.[١٣٢]

واستكمالاً لعرض أدباء القيروان والبارزين، نذكر منهم:

-**على بن فضال بن على التميمي المجاشعي القيرواني** [المتوفي سنة ٤٧٩هـ/١٨٦م] ووجدنا عددًا من كتب الأدب التي تُنسب إليه، منها شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب[١٣٣]، وكتاب "عنوان الأدب".[١٣٤]

- **أبى الحسن الحصري الضرير** [المتوفي سنة ٤٨٨هـ/١٩٥م][١٣٥]: هو ابن خالة إبراهيم الحصري الأنصاري، وعنى بالشعر بجانب حبه للقراءات، وذاع أمره، وقام بالتغني في حب القراءات، وذلك من خلال قصيدته الرائية في قراءة نافع [١٣٦]، وأورد ابن الجزري عن تلك القصيدة إحدى تساؤلاته بها "سألتكم يا مقري الغرب كله "[١٣٧]، وقد أطُلق على تلك القصيدة اسم " القصيدة الحصرية "[١٣٨]، ومن أبياته في تلك القصيدة:[١٣٩]

إذا قلت أبياتًا حسانا من الشعر ... فلا قلتها في وصف وصل ولا هجرٍ

ولا مدح سلطان ولا ذم مسلم ... ولا وصف خل بالوفاء أو الغدرٍ

ولكنني في ذم نفس أقولها ... كما فرضت في ما تقدم من عمرى

وقيل إنه عالم تنزيل الكلام، وتفصيل النظام، ويحب المجانسة والمطابقة، ويرغب في الاستعارة [١٤٠]، ومن قصائده الأخرى قصيدة " يا ليل الصب "، وتقول من أبياتها[١٤١]:

يا ليل الصب متى غده ... أقيام الساعة موعده ؟!

رقد السمار فأرقه ... آسف للبين يردده

والقصيدة في مدح الأمير أبا عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب مرسية، وضمت أبياتها٩٩ بيتًا[١٤٢]، وتنوعت مؤلفاته، وقال الأصفهاني أنه "صاحب تصنيفات وتأليفات وإحسان في النظم"[١٤٣]، ويذكر حركات أن تلك القصيدة "يا ليل الصب " قد عارضها أحمد شوقي وغيره[١٤٤]، ولم يقلل وضع الحصري في كونه ضرير من أن يرتقى في الشعر وينال مكانة بارزة، وشبهه البعض بالمعرى[١٤٥]، ومن قصائده، القصيدة التائية، وبلغت ٦٩ بيتًا[١٤٦]، واختصت برثاء القيروان، والقصيدة الدالية[١٤٧]، وديوان المعشرات، ويتألف من (٢٩) بيتًا، ونظمه على حروف الهجاء في بداية البيت ونهايته[١٤٨]، وديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح، وتألف من (٢٥٩١) بيتًا على حروف الهجاء[١٤٩]، ومن كتبه المستحسن من الأشعار.[١٥٠]

وكما كانت شهرة الأدباء داخل القيروان وخارجها، فقد فتحت المدينة أبوابها للكثير ممن وفدوا عليها، ومشاركة المجالس الأدبية التي كانت تُعقد بالقصر الملكي، ومن المرجح أن تدور فعالياتها حول إحدى المناقشات الأدبية إلى جانب عرض للمواهب، وقيام الشعراء الكبار بعرض ما لديهم من القصائد، وهذا الوجود العربي للأدباء يغرى بالطبع المزيد من الشعراء للانضمام لتلك المجالس الأدبية الثرية،

ووفد الكثير من أبناء البلدان الأخرى للالتقاء بأدباء القيروان، ونذكر منهم؛ الأديب التونسي على بن يوسف التونسي [المتوفي سنة ٤١هـ/١١٩م] ويُنسب إلى تونس، وكان قدومه القيروان للتأدب، ويشير ابن رشيق بأنه كانت لديه حظوة لدى بيت أبي العرب[١٥١]، ومنهم أيضًا عبد الله بن رشيق [المتوفي سنة ٤١٩هـ/١٢٨م] أصله من قرطبة، وحينما نزل القيروان استوطن بها، وكانت لديه عناية كبيرة بالشعر، ومكث لدى الشيخ أبي عمران الفاسي الفقيه، ويذكر ابن رشيق بأن أكثر شعره فيه.[١٥٢]

ووفد الحسن بن محمد التميمي القاضي التاهرتي المعروف بابن الربيب، ويُنسب إلى المغرب الأوسط، وتحديدًا إلى تاهرت، وعُنى بدراسة العلوم الدينية والأدبية، وتثقف على يد شيوخها، والتقى بالقزاز القيرواني ونال تقدير كبير منه، وتتلمذ على يديه[١٥٣]، ونجم عن ذلك أن كان خبيرًا باللغة، قوى الكلام يتكلفه بعض التكلف، وأورد ابن رشيق في كتابه رأى عبد الكريم النهشلي في ابن الربيب، وذلك بأن وصفه بأنه "أشعر أهل القيروان في وقته"[١٥٤]، ولم تدل الرواية عن الكتب التي دخلت القيروان عن طريقهم، إلا أن الاستفادة التي عادت عليهم تكمن في الاستماع إلى أدباء القيروان والاتصال بهم كما وفد أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي [المتوفي سنة ٤٥٥هـ/١٦٤م] ونزل القيروان سنة [٤٣٩هـ/١٤٨م] ومجيئه كان بمهمة سياسية بحتة إلا أنه تمكن من الاتصال بأقرانه من علماء القيروان، وأخذ من علومهم، وكانت المهمة التي قدم لأجلها بتكليف من الخليفة العباسي القائم، وكان حاملاً كتابًا إلى المعز الزيرى يقضى بموافقة الخلافة السنية على انضمامه تحت طاعتها، ومذهبها، وحينما وصل إلى أرض القيروان استقر به المقام، واتصل بعلمائها، وبرز شأنه في العلوم الأدبية، وخاصة في الشعر[١٥٥]، كما أتصل بفقهائها، وأثناء وجوده بها أدخل كتاب الثعلبي[١٥٦]، وأورد إحسان عباس أن الكتاب الذى أدخله هو كتاب "اليتمية للثعالبي"[١٥٧]، ونظم الكثير من القصائد، وأثناء وجوده بها شهد خرابها على يد المخربين، وراعه ما حل عليها، لذا فقد ذكر في قصائده الخراب الذى نزل القيروان، ومن تلك الأبيات[١٥٨]:

حالت على القيروان فحالها ... عما عهدت العيش فهو منغص
فخرابها في كل يوم زائد ... وجنابة المعمورة فيها تنقص

وقد ارتبطت الحركة الأدبية بالعلاقات التي قامت بين القيروان وغيرها من البلدان الأخرى، وفي أخريات تلك الفترة الزمنية تغير الهدف من رحلاتهم واقتصر على طلب الاستقرار بعيدًا عن التخربات الأعرابية، وأن تأثر الأدباء بالمشارقة، كما تأثر محمد بن جعفر القزاز بالمشرق، والتقى بالأدباء المشارقة، ومنهم الآمدى [المتوفي سنة ٤٦٧هـ/١٧٥م][١٥٩]، ونال منه العلم الكثير.[١٦٠]

ورحل ابن رشيق خارج القيروان بحثًا عن مستقر آمن، وكانت وجهته إلى صقلية وأقام بمازر[١٦١]، وطابت له الحياة بها بعد أن رفض البقاء مع ابن شرف بالأندلس، واتخذها مقرًا له، ولاقى بها الكثير من الترحيب، ونتيجة لذلك أرتقت الحركة الأدبية في صقلية على يد أدباء القيروان، وأشار إحسان عباس إلى أنها نافست القيروان في علومها وثقافتها[١٦٢]، ويضيف أحمد يزن أنه بحلول كتب ابن رشيق بها تداولها الصقليون، وكان تأثرها بأفريقية أكثر من المشرق[١٦٣] وأثناء وجود ابن رشيق بها التف حوله الكثير من أبناء صقلية للأخذ من علمه وأدبه، وتتلمذ على يديه العديد نذكر منهم أبا عمر عثمان الصقلي، وبلغ الارتباط بينه وبين ابن رشيق درجة كبيرة من النمو، ونجم عن هذه العلاقة أن قام الصقلي باختصار كتاب العمدة[١٦٤]، وذكر بروكلمان أنه تحت عنوان "العدة في اختصار العمدة "[١٦٥]، ونال الكتاب مكانته بين الصقليين وراج تداوله بينهم، ويذكر إحسان عباس بأنه جرى تدريسه في مدينة مازر.[١٦٦]

أما عما قدمه ابن رشيق لصقلية، فحينما نزل بها قام بوصف "بلرم" وهى العاصمة الصقلية، ونظم الكلمات الرقيقة في صورة أبيات، ونذكر منها:[١٦٧]

أخت المدينة في اسم لا يشاركها ... فيه سواها من البلدان والتمس
وعظم الله معنى ذكرها قسمًا ... قلد اذا شئت أهل العلم أو نفس

ولم يستقر ببلرم وإنما اتجه إلى مازر، واستقر بها إلى أن توفي، واحتفاء بمكانته العظيمة التي وصل إليها، عُقدت الكثير من المجالس الأدبية بحضرته، وأندمج داخل الحياة الثقافية بها، ونال عناية كبيرة من أبنائها وعلى رأسهم الوالي ابن منكود[١٦٨]، وربطت بينه وبين الكثير من أهل صقلية صداقات كثيرة، وندل على ذلك بتلك المراسلات التي قامت بينه وبين أبي عبد الله محمد بن على الصباغ الكاتب، وكانت في صورة أبيات شعرية، ويقول الكاتب:[١٦٩]

كتاب من أخ كشفت ... قناع ضميره يُدهُ
تذكر منزلاً رحبًا ... وعذبًا طاب موردُهُ
وكاد يطير من شوق ... إلى عهد يجددُهُ

ورد عليه ابن رشيق قائلاً:

أخ بل أنت سيده ... على ما كنت تعهدُهُ
يود غير محتاجٍ ... إلى شيء يوكدُهُ
لعل الله باللقيا ... كما يختار يسعدُهُ

ومثلما حصل ابن رشيق على المكانة البارزة بصقلية، فقد نال ابن شرف مكانته البارزة أيضًا في الأندلس، فكان خروجه من القيروان عند اشتداد فتنة العرب سنة [٤٤٧هـ/ ١٥٥م][١٧٠]، وكان اتجاهه إليها في أعقاب الخراب الذى لحق بهم، ومكث بها بقية حياته، وأثناء وجوده بها اتصل بالمأمون بن ذي النون[١٧١]، وربطت بينهما روابط متينة، وأراد أن يظهر مهارته أمام المأمون في نقض إحدى قصائد أبى الطيب المتنبي، وأن ينظم قصيدة معارضة له، فوافق المأمون على ذلك، وعرض عليه إحدى قصائد المتنبي، وأراد ابن شرف أن يفي بطلبه أمام المأمون، إلا أنه تعسر في نظمها[١٧٢]، ولم يقلل ذلك من مهارته الأدبية أمام المأمون.

ولم تنته اتصالات ابن شرف، فقد اتصل بالمعتضد بن عباد أثناء وجوده في أشبيلية، وأراد التقرب منه، وكانت الوسيلة التي وجدها ابن شرف أن يبعث إليه بإحدى قصائده، وبالفعل بعث إليه خمس قصائد من شعره، وأكد على ذلك في قوله: " ولقد رفعت إلى حضرته الرفيعة خمس أبكار عرب، تخدمهن وليدة ذات حسن وأدب، خصصت بالخمس الغرائض خير الملوك، وبالوليدة بر الحر المملوك، وهن وإن زدن على أربع الشرع واحدة، فليست في دين الشعر بزائدة".[١٧٣] وخلال تلك التحركات التي قام بها أثناء وجوده بالأندلس، فقد وصفه الشنتريني بالجوال، وذكر أنه " لم يزل على ملوك الطوائف يومئذ يتطوف، وينتقل في الدول من منزل إلى منزل، ومن بلد إلى بلد".[١٧٤]

وقد اتجه إلى الأندلس أيضًا الحصري القيرواني [المتوفي سنة ٤٨٨هـ/١٩٥م] وكان دخوله لها سنة [٤٥ هـ/١٥٧م][١٧٥]، وسكن سبتة، وتولى تدريس القراءات بها أزيد من عشر سنوات[١٧٦]، وإلى جانب ذلك فقد اهتم بالأدب، ولقى الكثير من أهل العلم، واتصل بالمعتمد بن عباد، ونال عنده مكانة مرموقة، ونجم عن ذلك أن ألف كتابًا بعنوان "المستحسن من الأشعار" وأهداه إليه[١٧٧]، ومن أشعاره أثناء وجوده بها:[١٧٨]

محبتي تقتضي ودادي وحالتي تقتضي الرحيلا
هذان خصمان لست أفضي بينهما خوف أن أميلا
ولا يزالان الان في اختصام حتى يرى رأيك الجميلا

ودارت بينه وبين المعتمد رسائل كثيرة، ومنها أن الحصري رفض مبلغًا من المال وقدره خمسمائة دينار، وأراد المعتمد بعثها لكى يتجهز ويتجه إليه، فكتب له الحصري يقول:[١٧٩]

أمرتني بركوب البحر أقطعه غيرى لك الخير فاخصصه بذا الداءِ
ما أنت فتجيبنى سفينته ولا المسيح أنا أمشى على الماءِ

ولم يغفل في قصائده الرثاء، فنظم أبياتٍ يرثى بها المعتضد بن عباد أبا المعتمد، ويقول فيها:[١٨٠]

مات عباد ولكن بقى الفرع الكريمُ
فكان الميت حي غير ان الضاد ميمُ

وبخلاف هذا الأمر نخلص إلى أنه قد اتجه الكثير من أبناء القيروان إلى مختلف الأمصار، وقد حاولت قدر جهدي أن أرسم صورة أدباء القيروان ووضعهم، وما قدموه لتلك الأمصار التي اتجهوا إليها، ومما وجدته خلال ذلك قيام أبى عبد الله القزاز بمدح ابن صمادح الأندلسي، الذى كان يعقد المجالس في قصره للمذاكرة، ويجلس يومًا في كل جمعة للفقهاء والخواص، ولزم حضرته فحول من الشعراء، مما كان دافعًا أن يقوم بنظم أبيات مدحية فيه، ويذكر الأصفهاني عددًا منها مشيرًا إلى أنه خلط النسيب بالمديح.[١٨١]

خاتمة

نستنتج من البحث أهمية الموقع الاستراتيجي والحضاري لمدينة القيروان، وما لتلك الوافدات الكثيرة التي حضرت للمشاركة، وفتح المدينة ذراعيها للغرباء من أبناء الأمصار الأخرى، ولم يكن في مجال الأدب فحسب؛ بل أمتد إلى مختلف الأنشطة العلمية، وتزخر كتب التاريخ المغربي والتراجم بالحديث باستفاضة بالغة عن آلاف الأسماء القيروانية التي لمعت وذاع صيتها في مشارق الأرض ومغاربها.

كما نقف على أن الهجمة القبلية التي كانت وبالاً على القيروان في النصف الثاني من الفترة الزمنية، شكلت ثراءً فكريًا وروائيًا لكثير من كُتاب السير والروايات الشعبية، وتحولت مسيرة العرب الهلالية للمغرب من واقع تاريخي إلى قالب درامي، يدور حول صراع قبلي ونزاع عائلي، واتجاه أبي زيد الهلالي للبحث عن الجازية، وموقف الأب من أبنه الغائب، وتناولها المثقفون بالعناية والاهتمام على مدى العصور الحالية، وتطلعت الأذهان لمعرفة المزيد عن تاريخ الهلاليين، مما جعله عملاً روائيًا كبيرًا تحدث عن بنى هلال بصورة شيقة، وتناولهم قصة دخولهم المغرب.

ويذكر شوقي عبد الحكيم في كتابه "تراث شعبي" أن النص الأصلي المدون للسيرة الهلالية السياسية ما زال من المخطوطات المحفوظة في مكتبة الدولة المركزية في برلين، كما أن أبرز المؤلفات التي تحدثت عن سيرة العرب واتجاههم للمغرب، كانت السيرة الهلالية، التي قام بوضعها الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي، وتجزأت إلى أجزاء كثيرة في قالب روائي ممتع، وقد تحدث عن وسائل جمعه لتلك الروايات والأشعار المتعلقة بالسيرة، وذلك باستماعه وتنقله بين البلدان المختلفة؛ وبخاصةً تونس، وجمعه لكل تلك المعلومات في كتابه.

الهَوامِشُ:

(١) **مدينة القيروان**، مدينة شريفة، أسسها عقبة بن نافع، في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، بناها على مسافة (٣٦) ميلاً عن البحر المتوسط... راجع الوزان: **وصف إفريقيا**، ترجمة/ عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤٦٠-٤٦٤؛ وورد عن ذكرها أن تذكر أحيانًا بإفريقية كقول عقبة بن نافع : إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، وإذا خرج منها رجع للكفر، فأرى أن تتخذوا بها مدينة تكون عزًا للإسلام إلى أخر الدهر.. راجع ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج١، تحقيق / محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٩.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، الجزء الثالث، منشأة دار المعارف، الإسكندرية، بدون، ص ٣٧٩.

(٣) ابن خلدون: **المقدمة**، تحقيق/ حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ٢٠٠٤م، ص٧٠٩.

(٤) حركات: **مدخل إلى تاريخ العلوم في المغرب المسلم حتى القرن ٩هـ/١٥م**، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٩٥.

(٥) حركات: **مدخل**، ج١، ص١٨٦.

(٦) حواله: **الحياة العلمية في أفريقية [المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري]**، الجزء الثاني، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٧٨ – ٢٧٩.

(٧) ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده**، الجزء الأول، حققه / محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مكتبة السعادة، مصر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ص١٢١.- محمود شاكر القطان: **مقدمة كتاب اختيار الممتع في علم الشعر وعمله**، لعبد الكريم النهشلى، ج١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢١.

(٨) ابن رشيق: **العمدة**، ج١، ص١١٨؛ رابح بونار: **المغرب العربي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون، ص٢٩٥.

(٩) الحصري القيرواني: **زهر الآداب وثمر الألباب**، الجزء الأول، تحقيق / زكى مبارك، بدون، مقدمة المحقق، ص١٣.

(١٠) ابن شرف: **ديوان ابن شرف**، تحقيق د/ حسن ذكرى حسن، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون، مقدمة المحقق، ص٢٣ – ٣٠.

(١١) شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي**، العصر الإسلامي، دار المعارف، الطبعة الحادية عشر، ١٩٦٣م، ص ٣٤.

(١٢) حسن حسنى عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية والأفريقية وتونس**، الجزء الأول، إشراف/ محمد العروس المطوي، مكتبة المنار، تونس، ١٩٧٢م، ص ١٣٣ - ١٣٥ ؛ وسليمان بن حميد الغافقي، **فارس العرب**، وأحسنهم لسانًا وأبلغهم إلى معرفة أيام العرب وأخبارها، ورواية وقائعها وأشعارها، وللمزيد راجع ابن الآبار: **الحلة السيراء**، الجزء الأول ، حققه وعلق حواشيه د/ حسين مؤنس، دار المعارف، ذخائر العرب، رقم (٥٨)، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٨٢ – ٨٣.

(١٣) حسن حسنى عبد الوهاب: **ورقات**، ج١، ص ١٣٧ – ١٣٩ ؛ والمعمر بن سنان التيمي، كان قد قدم أفريقية مع يزيد بن حاتم في ولايته أفريقية، وكان زميله في طريقه إذا ركب في عمارته واستماعه إلى حديثه، وكان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها، وعنه أخذ الأفارقة حرب غطفان وغيرها من وقائع العرب .. راجع ابن الأبار: **الحلة**، ج١، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(١٤) النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الجزء الرابع والعشرون، تحقيق د/ حسين نصار، مراجعة د/عبد العزيز الأهوانى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٠٥؛ ومن شعره ذكر ابن عذارى قائلاً:

ما سرت ميلاً ولا جازت مرحلة الا وذكرك يثنى دائمًا عنقي
ولا ذكرتك الا بت مرتقبًا أرعى النجوم كأن الموت مغتبقى

راجع ابن عذارى: **البيان**، ج١، ص٩٢.

(١٥) النويري: **نهاية**، ج٢٤، ص١١٥.

(١٦) ومجرى الأحداث خلالها كالتالي: في ثورة تمام بن تميم التميمي على محمد بن مقاتل العكي- والتي كانت سببها الولاية - خرج إليه العكي، وتقاتل الطرفان في سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م، وأنهزم العكى وعاد إلى القيروان، وما أن علم إبراهيم بن الأغلب بذلك، حتى تضامن مع العكى، وتصدى لتمام، إلا أن التميم هرب، وكتب إلى العكى خطابه، وفى أخره بعض الأبيات، ونذكر منها:

وما كان إبراهيم من فضل طاعة يرد عليك الثغر إلا لتقيلا
وما كان من العكى إلا أن رد عليه برسالة مطولة وانشد في أخرها:
وانى لأرجو أن لقيت ابن الأغلب غداة المنايا ان تفل وتقتلا

راجع، ابن عذارى : **البيان**، ج١، ص ٩١ ؛ النويري: **نهاية**، ج٢٤، ص ٩٧ – ٩٨.

(١٧) حركات: **مدخل**، ج١، ص ١٧٨.

(١٨) إبراهيم الدسوقي جاد الرب: **شعر المغرب حتى خلافة المعز**، تقديم د/ عبد العزيز الأهوانى، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٣، ص١١٩.

(١٩) الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، الجزء الثالث، تحقيق/ محمد ماضور، مكتبة الخانجي، المكتبة العتيقة، بدون، ص١٣٦.

(٢٠) حركات: **مدخل**، ج١، ص١٨٠.

(٢١) الدباغ: **معالم**، ج٣، ص١٣٣.

(٢٢) الدباغ: **معالم**، ج٣، ص١٦٤.

(٢٣) حركات: **مدخل**، ج١، ص١٨٤.

(٢٤) مصطفى الشكعة: **الأدب في موكب الحضارة العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م، ص٣٦.

(٢٥) النويري: **نهاية**، ج٢٤، ص٢٠٢.

(٢٦) السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، الدار القومية للطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٩٦٦م، ص٦٥٨.

(٢٧) ابن رشيق: **العمدة**، ج٢، ص١٢٨.

(٢٨) إبراهيم الدسوقي: **شعر**، ص٤٢.

(٢٩) القفطي: **إنباه الرواة على أنباه النحاه**، الجزء الأول، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص٢٩٩؛ عبد الرؤوف مخلوف: **ابن رشيق القيرواني**، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م، ص٢٧ – ٢٨.

(٣٠) ابن رشيق: **أنموذج الزمان في شعراء القيروان**، جمعه وحققه/ محمد العروس المطوي، وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٨٣، ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٣١) القفطي: **إنباه**، ج١، ص١٩٢ – ١٩٣.

(٣٢) حركات: **مدخل**، ج١، ص٢١٨.

(٣٣) ابن رشيق: **أنموذج**، ص٥٩ – ٦٠.

(٣٤) حركات: **مدخل**، ج١، ص٢١٧.

(٣٥) القفطي: **إنباه**، ج١، ص٣٠١.

(٣٦) الدباغ: **معالم**، ج٣، ص١٨٠.

(٣٧) الدباغ: **معالم**، ج٣، ص١٤٢.

(٣٨) الدباغ: **معالم**، ج٣، ص١٨٤ – ١٨٥.

(٣٩) وهو أبو القاسم عبد الرحمان بن يحيي الأسدي، سكن القيروان في سوق الخوص، وكان شاعرًا منقاد الطبع، لا يتكلف في التصنيع، راجع ابن رشيق: **أنموذج**، ص١٥١، ١٥٣.

(٤٠) عتيق بن محمد أبو بكر الوراق التميمي، شاعر مطبوع، وله أنواع من الشعر.. راجع ابن رشيق: **أنموذج**، ص٢٥١.

(٤١) حركات: **مدخل**، ج١، ص ٢٢٦.
(٤٢) القفطي: **إنباه**، ج١، ص ٢٩٩ – ٣٠٠.
(٤٣) ابن شرف: **رسائل الانتقاد**، نشرها/ حسن حسنى عبد الوهاب، ضمن كتاب رسائل البلغاء، اختيار/ محمد كرد على، الطبعة الثالثة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦ م، ص٣٠٩.
(٤٤) ابن شرف: **ديوان ابن شرف**، ص٥٣.
(٤٥) حركات: **مدخل**، ج١، ص٢٢٠.
(٤٦) ابن شرف: **ديوان**، ص٤٩.
(٤٧) الأصفهاني: **خريدة القصر وجريدة العصر**، الجزء الثاني، تحقيق/ آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه / محمد العروس المطوى – الجيلاني بن الحاج يحيى – محمد المرزوقي، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص١٨٦.
(٤٨) ابن شرف: **ديوان**، مقدمة المحقق، ص٢٢.
(٤٩) حركات: **مدخل**، ج١، ص٢٢٢.
(٥٠) عبد الرؤوف مخلوف: **ابن رشيق**، ص٢٩.
(٥١) ابن شرف: **ديوان**، ص٦١.
(٥٢) النويري: **نهاية**، ج٢٤، ص٢٣٦.
(٥٣) حركات: **مدخل**، ج١، ص١٩٤.
(٥٤) ابن خلدون: **المقدمة**، ص٧٤٤ – ٧٤٦.
(٥٥) حركات: **مدخل**، ج١، ص٢٣٣.
(٥٦) ابن خلدون: **المقدمة**، ص٧٢٤.
(٥٧) الزركلي: **الأعلام**، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الحادية عشر، ١٩٩٥م، ص١٣٨.
(٥٨) الأصفهاني: **خريدة**، ج٢، ص٢٢٤.
(٥٩) أبو القاسم كرو: **عصر القيروان**، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٨٩م، ص٥٣.
(٦٠) حركات: **مدخل**، ج١، ص١٩٩.
(٦١) ابن رشيق: **أنموذج**، ص١٧٠؛ أحمد يزن: **النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي (٣٦٢-٥٥٥هـ/ ٩٧٢-١١٦٠م)**، مكتبة المعارف، الرباط، بدون، ص٧٩؛ وأفاد المنجى بأن النهشلى توفى سنة (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، راجع المنجى الكعبي: **القزاز القيرواني، حياته وأثاره**، الدار التونسية، ١٩٨٦م، ص٤٠.
(٦٢) نوبار: **المغرب**، ص٢٩٤.
(٦٣) أحمد يزن: النقد، ص٨١.
(٦٤) النهشلى: **اختيار الممتع في علم الشعر وعمله**، تحقيق/ محمود شاكر القطان، الجزء الاول، سلسلة التراث، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١١.
(٦٥) عبد الكريم النهشلي: **اختيار**، ج١، ص١٩.
(٦٦) ابن رشيق: **أنموذج**، ص٤٦؛ ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، الجزء الثاني، بدون، ص٩٤؛ عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٤٥؛ وأبدى بروكلمان تعارضًا مع رأيه حول وفاته، وذلك بأنه أشار إلى أن كتابه "زهر الآداب" قد ألفه سنة [٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م]، راجع بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، القسم الثالث (٥-٦)، ترجمة د/ محمود فهمى حجازي، د/ السيد يعقوب بكر، د/رمضان عبد التواب، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص١٠٧؛ وأختلف الزركلي في تاريخ وفاته، وذلك بأن ذكر أنه توفى سنة [٤٥٣هـ/ ١٠٦١م].. راجع الزركلي: **الأعلام**، ج١، ص٥٠.
(٦٧) ابن رشيق: **أنموذج**، ص٤٦.
(٦٨) الحصري القيرواني: **زهر**، ج١، مقدمة المحقق، ص١٥.
(٦٩) أبو القاسم كرو: **عصر القيروان**، ص٤١.
(٧٠) أبو القاسم كرو: **عصر**، ص٦٧.
(٧١) الحصري القيرواني: **نور الطرف ونور الظرف**، تحقيق/ لينه عبد القدوس أبو صالح،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣٠ – ٣١؛ بروكلمان: **تاريخ**، القسم الثالث (٥-٦)، ص١٠٧.
(٧٢) الحصري القيرواني: **زهر**، ج١، ص٢٣ – ٢٤.
(٧٣) حركات: **مدخل**، ج١، ص١٧٩.
(٧٤) الحصري: **نور**، ص٣٦.
(٧٥) الحصري: نفسه، ص٣٦.
(٧٦) الحصري: نفسه، ص٣٥.
(٧٧) الحصري: نفسه، ص٣٨ – ٣٩.
(٧٨) الحصري: نفسه، ص٣٦.
(٧٩) إدريس: **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بنى زيرى من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر**، ترجمة/ حمادي الساحلي، الجزر الأول، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص٤٠٠ .
(٨٠) ابن رشيق: **الانموذج**، ص ٥٠ .
(٨١) السيوطى: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٠٠ .
(٨٢) ابن رشيق: **أنموذج**، ص ١٥٨- ١٥٩ .
(٨٣) حركات: **مدخل**، ج١، ص ١٦٤ .
(٨٤) القزاز القيرواني: **ما يجوز للشاعر في الضرورة**، تحقيق/ المنجى الكعبي، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م، ص٧. كما طبع بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، نشر مكتبة دار العروبة في الكويت سنة (١٩٨٢م).
(٨٥) حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات**، ج١، ص ١٨٠ – ١٨٣.
(٨٦) وذكر أن هذا الكتاب عرف بهذا الاسم عند الحموي والصفدى، فالقفطى يسميه شرح المقصورة، راجع المنجى الكعبي: القزاز، ص ٥٤ – ٥٥.
(٨٧) حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات**، ج١، ص١٨٢.
(٨٨) ابن بسام الشنترينى: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، القسم الأول، الجزء الرابع، القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، ص١٣٣؛ الكتبى: فوات الوفيات والذيل عليها، المجلد الثالث، تحقيق د/إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون، ص٣٥٩ – ٣٦١.
(٨٩) محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الذكية في طبقات المالكية**، دار الفكر، بدون، ص ١١٠.
(٩٠) ابن شرف: **رسائل**، ص٣١١ – ٣١٢.
(٩١) ابن شرف: نفسه، ص ٣٠٠ – ٣٠١.
(٩٢) وأورد أن الكتاب يضم مختارات جمعها من شعره، ومقامات عارض بها البديع، ونشرها السيد حسن حسنى عبد الوهاب في دورية "منجاة المقتبس" باسم "رسائل الانتقاد"، ثم نشرت في رسائله منفردة باسم أعلام الكلام، ويُعد من الكتب المفقودة، راجع الزركلي: **الأعلام**، ج٦، ص ١٣٨ .
(٩٣) ابن شرف: **أعلام الكلام**، مكتبة الخانجي، طبعة أولى، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ص١٣.
(٩٤) الشنترينى: **الذخيرة**، ج٤، ص ١٤٠ – ١٤١.
(٩٥) ابن شرف: **رسائل الانتقاد**، ص ٣١١ ؛ ويذكر أبو القاسم كرو أن كتاب رسائل الانتقاد نشره حسن حسنى عبد الوهاب في دمشق سنة ١٩١١م وأختار هذه الرسائل الاستاذ محمد كرد على ونشرها ضمن كتابه رسائل البلغاء، راجع ابو القاسم كرو: **حصاد العمر**، المجلد الثاني، دار الغرب العربي، تونس، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٦.
(٩٦) بروكلمان: **تاريخ الأدب**، القسم الثالث (٥-٦)، ص١٠٩ – ١١٠.
(٩٧) الشيخ يوسف البديعي: **الصبح المنبى عن حيثية المتنبي**، تحقيق/ مصطفى السقا، الطبعة الثانية، دار المعارف، ص١٨٠.

(٩٨) ابن شرف: **ديوان**، ص٦٨.

(٩٩) القفطي: **إنباه**، ج١، ص ٢٩٨؛ الصفدى: **الوافى بالوفيات**، الجزء الثانى عشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١١- ١٣؛ السيوطى: **بغية**، ج١، ص ٥٠٤؛ الحنبلى: **شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب**، الجزء الثالث، دار الفكر، بدون، ص ٢٩٧ – ٢٩٨؛ إبراهيم احمد العدوى: **المجتمع المغربي**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٠ م، ص٣٠٢.

(١٠٠) عبد الرؤوف مخلوف: **ابن رشيق**، ص١٤.

(١٠١) طه الحاجري: **من أعلام الفكر والأدب في المغرب العربي** [ابن رشيق]، مجلة العربي، العدد ٦٣، فبراير، ١٩٦٤م، ص٦٠ – ٦٢.

(١٠٢) عبد الرؤوف مخلوف: **ابن رشيق**، ص ٥٩ – ٦١.

(١٠٣) عبد الرؤوف مخلوف: نفسه، ص٦٨.

(١٠٤) ابن خلدون: **المقدمة**، ص٧٣٢.

(١٠٥) حركات: **مدخل**، ج١، ص ٢١٣.

(١٠٦) ابن رشيق: **العمدة**، ج ١، ص٣ ، مقدمة المحقق.

(١٠٧) الأصفهاني: **خريدة**، ج٢، ص١٧٣.

(١٠٨) حركات: **مدخل**، ج١، ص١٧٩.

(١٠٩) أحمد يزن: **النقد**، ص٢٤٢.

(١١٠) ابن خلكان: **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**، الجزء الثاني، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون، ص٨٨.

(١١١) عبد الرؤوف مخلوف: نفسه، ص٦٧.

(١١٢) ويذكر مقولة ابن رشيق حول ذلك "والشعراء في قبولها مال الملوك أعذر من المتورعين، وأصحاب الفتيا، لما جرت به العادة قبل الاسلام، وهذا باب قد احتذاه الكتاب في زماننا إلا قليل، وقوم من شعراء وقتنا أنا ذاكرهم في كتاب غير هذا إن شاء الله ".. راجع عبد الرؤوف مخلوف: نفسه، ص٦٨.

(١١٣) أحمد يزن: نفسه، ص٣٠٠.

(١١٤) وأورد بأن حسن حسنى عبد الوهاب أشار إلى أنه تم تأليفه سنة [٤١٥هـ/ ١٠٢٤م]، وذكر أيضًا أنه ألفه سنة [٤٢٥ هـ/ ١٠٣٣م]، والمرحوم زين العابدين السنوسي حدد تاريخ تأليفه سنة [٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م].. راجع محمد العروس المطوى – بشير البكوس: **مقدمة كتاب الانموذج**، ص ٢١ – ٢٢.

(١١٥) وذكر من ضمن ما ذكر أن عبد الرحمن ياغى قام بحصر أبيات القصيدة، وأوضح أنها ٧٤٢ بيت في ٢١٣ قصيدة ومقطوعة، أما الميمنى الراجكوتى أورد بأنها ٤٩٦ بيت في ١٥٥ قصيدة، وقد أعتنى بها في البداية حسن حسنى عبد الوهاب. راجع الشاذلى بو يحيى: **من شعر ابن رشيق**، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٦، ١٩٦٩م، ص٦١ – ٦٨.

(١١٦) ابن خلكان: **وفيات**، ج٢، ص٨٨ – ٨٩.

(١١٧) وأوضح أنه اتصل بالعديد من المؤثرات المشرقية وهى كالتالى " فقد قرأ للقاضى الجرجانى كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه وأكثر من الاستشهاد بآرائه ونقل كثيرًا منها في العمدة، وقرأ لابن وكيع كتابه المنصف وأبدى فيه رأيه، وقرأ للأمدى كتابه الموازنة بين الطائيين، وقرأ للحاتمى رسالته وأكثر من النقل عنها، وقرأ للرمانى ونقل عنه كثير من المواطن، وأكثر من الرواية عن الجاحظ، وكتبه لها الأثر الواضح في تأليفه، كما رأى كتاب الجمهرة وقراه ونقل منه حين تحدث عن المعلقات، وأخذ عن ابن قتيبه. راجع عبد الرؤوف مخلوف: **ابن رشيق**، ص٥٣ – ٥٦.

(١١٨) بطرس البستاني: **أدباء العرب في بلاد الأندلس**، ١٩٨٨م، ص١٠٧؛ والمعرى هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى [٣٦٣- ٤٤٩هـ/ ٩٧٣ – ١٠٥٧م] شاعر وفيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان، أصيب بالجدري وهو صغير فعمى، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعرًا يرثونه. راجع الزركلي: **الأعلام**، ج١، ص ١٥٧

(١١٩) سعد إسماعيل شلبي: **دراسات فنيه لأدباء الأندلس والمغرب**، مكتبة غريب، بدون، ص٦٢.

(١٢٠) القفطى: **أنباه**، ج١، ص٣٠٢ – ٣٠٣.

(١٢١) ابن خلكان: **وفيات**، ج٢، ص٨٦.

(١٢٢) الكتبى: **فوات**، ج٣، ص٣٥٩ – ٣٦٠؛ اليمانى: إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين، تحقيق د / عبد المجيد دياب، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٩٠.

(١٢٣) ياقوت الحموي: **معجم الادباء**، ج١٩، ص٣٨.

(١٢٤) ابن شرف: **رسائل**، ص٣٠٤.

(١٢٥) الشاذلى بو يحيى: نفسه، ص٦٧.

(١٢٦) رابح بونار: **المغرب**، ص٢٩٧.

(١٢٧) ابن رشيق: **العمدة**، ج٢، ص٢٨٠ – ٢٨٢.

(١٢٨) أحمد يزن: **النقد**، ص٢٤٢.

(١٢٩) ابن رشيق: **قراضة الذهب**، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص١٠ – ١١.

(١٣٠) محمد بن محمد مخلوف: شجرة، ص ١١٠؛ الحسين بن محمد شواط: **مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الجزء الأول، الطبعة الاولى، الكويت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص١٩٤.

(١٣١) الأصفهاني: **خريدة**، ج٢، ص٢٠٨.

(١٣٢) الشنترينى: **الذخيرة**، ج٤، ص١٥.

(١٣٣) حاجى خليفه: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، الجزء الاول، دار أحياء التراث العربي، بيروت، بدون، ص٤٧.

(١٣٤) حاجى خليفه: نفسه، ج٢، ص١٣٧.

(١٣٥) الزركلي: **الأعلام**، ج١، ص٥٠.

(١٣٦) أحمد يزن: **النقد**، ص٣٧.

(١٣٧) ابن الجزري: **غاية النهاية في طبقات القراء**، الجزء الأول، نشرها/ برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٥٥٠ – ٥٥١.

(١٣٨) الزركلي: **الأعلام**، ج٤، ص٣٠٠.

(١٣٩) المرزوق – الجيلانى: **أبو الحسن الحصرى القيروانى**، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٣م، ص٦٧.

(١٤٠) عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، ج١، ص٤٥.

(١٤١) ابن سناء الملك: **دار الطرز في الموشحات**، تحقيق / جودة الركابى، قدمه د/ سليمان العطار، الذخائر، رقم ١٢٠، ٢٠٠٤م، ص١٥١. وأورد انها كانت تمدح الامير صاحب مرسية، وتبلغ ٩٩ بيتًا.

(١٤٢) المرزوق – الجيلانى: المرجع السابق، ص١٤٠. هو أبو محمد بن عبد الرحمن محمد بن الطاهر، تمادى على رسم أبيه ووسمه، وانتقل من تدمير إلى المرية ومرسية، وبقى بها، وكان من أهل العلم والادب البارع، يتقدم رؤساء عصره في البيان والبلاغة، ويماثل الصاحب ابن بسام وأمثاله في الكتب عن نفسه، ورسائله مونه، ولأبي الحسن بن بسام فيها تأليف سماه "سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر" وكان جوادًا ممدحًا ينتجعه الشعراء ويقصده الأدباء.. للمزيد راجع ابن الابار: **الحلة**، ج٢، ص١١٦ – ١٢٧.

(١٤٣) الأصفهاني: **خريدة**، ج٢، ص١٨٦.

(١٤٤) حركات: **مدخل**، ج١، ص٢٠٢.

(١٤٥) عفيفي محمود إبراهيم: **مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة إلى مصر حتى منتصف القرن السادس**، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢ م، ص٣٠٤.

(١٤٦) ويضيف بأنها قصيدة يتشوق فيها للقيروان، ويورد منها ابن بسام ثمانية وعشرين بيتًا، راجع الشاذلي بو يحيى: الحصري القيرواني، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٧، ١٩٧٠م، ص٢٢ – ٣٥.

(١٤٧) الحصري القيرواني: نور، ص٩.

(١٤٨) ويذكر أنه ديوان من الشعر الغزلي نظمه على حروف الهجاء، كل حرف يختص بقصيدة. راجع: محمد المرزوقي– الجيلاني: المرجع السابق، ص٧٠.

(١٤٩) ويذكر أنها تشمل قسم الأصل ويضم (٢١٥٦) بيتًا فيه قصائد مبوبة على جميع حروف الهجاء، وقسم الذيل يشتمل على (٤٣٥) بيت مقسمه على (٢٩) حرف هجاء. راجع: المرزوقي – الجيلاني: المرجع السابق، ص٧٠.

(١٥٠) المراكشي: المصدر السابق، ص٢٦٠.– وأضاف المرزوقي بأنها عبارة عن مجموعه قصائد في كتاب واحد، راجع المرزوقي – الجيلاني: المرجع السابق، ص٦٨.

(١٥١) ويضيف أنه كان يستضعف شعراء عصره ويهتدم أبياتهم، ويقول عن نفسه بأنه "فرزدق"، راجع ابن رشيق: **الأنموذج**، ص٢٩٨.

(١٥٢) ابن رشيق: نفسه، ص١٩١.

(١٥٣) ابن رشيق: نفسه، ص١١١.

(١٥٤) ابن رشيق: نفسه، ص١١٢.

(١٥٥) الدباغ: **معالم**، ج٣، ص١٩٤ – ١٩٦.

(١٥٦) الدباغ: نفسه، ج٣، ص١٩٥.

(١٥٧) إحسان عباس: **العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والأدب**، دار المعارف، مصر، بدون، ص٩٢.

(١٥٨) الدباغ: نفسه، ج٣، ص١٩٥.

(١٥٩) الآمدي هو على بن عبد الرحمن أبو الحسن البغدادي الآمدي، فقيه بغداد، نال مكانة بارزة، ومن تأليفه عمدة الحاضر، وكفاية المسافر في الفقه. راجع الزركلي: **الأعلام**، ج٤، ص٣١٨.

(١٦٠) حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات**، ج١، ص ١٠٢؛ إدريس: **الدولة الصنهاجية**، ص٣٩٥.

(١٦١) الصفدي: **الوافي**، ج١٢، ص١١ ؛ القفطي: **إنباه**، ج١، ص٣٠٣.

(١٦٢) إحسان عباس: **العرب**، ص١٦٨.

(١٦٣) أحمد يزن: **النقد**، ص٤٣٢.

(١٦٤) رابح بونار: **المغرب**، ص٣١٥؛ عبد الرؤوف مخلوف: **ابن رشيق**، ص٦٦.

(١٦٥) بروكلمان: **تاريخ**، القسم الثالث [٥ – ٦]، ص٣٣٩.

(١٦٦) إحسان عباس: نفسه، ص٩٤.

(١٦٧) الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، ص٥٢٩.

(١٦٨) فوزي عيسى: **الشعر العربي في صقلية**، بدون، ص٣٦٥.

(١٦٩) فوزى عيسى: نفسه، ص٣٦٤.

(١٧٠) محمد بن محمد مخلوف: نفسه، ص١١٠؛ كارل بروكلمان: نفسه، القسم الثالث [٥– ٦]، ص١٠٩.

(١٧١) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، الجزء الثاني، تحقيق / شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ص١٢؛ إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي**، دار الثقافة، بيروت، بدون، ص٧٤.

(١٧٢) ويذكر أنه عرض على المأمون بن ذي النون أن يشير إلى أي قصيدة شاء من شعر أبي الطيب حتى يعارضها بقصيدة تُنسى اسمه، وتُعفى رسمه، فتثاقل ابن ذي النون عن جوابه، علمًا بضيق جنابه، وإشفاقًا من فضيحته وانتشابه، وألح ابن شرف على ذلك حتى أحرج ابن ذي النون وأغراه، فقال له: دونك قوله " لعينيك ما يلقى الفؤاد وما ألقى "، فخلا بها ابن شرف أيامًا فوجد مركبها وعرًا، ومريرها شزرًا، ولكنه ابى عذرًا، وارهق نفسه من أمرها عسرًا، فما قام ولا قعد، ولا حل ولا عقد. راجع الشنتريني: **الذخيرة**، ج٤، ص١٤.

(١٧٣) الشنتريني: نفسه، ج٤، ص ١٣٥؛ ويذكر أيضًا رد المعتضد عليه برقعة من أنشاء الكاتب أبى محمد بن عبد البر قال فيها "وأشعارك تزف إلينا عرائس الألباب، ونفائس الآداب، فنفديك على البعد بالأنفس والأقارب، ونستدينك بالأماني ونحسبها من الكواذب، حتى أسمع الخبر باغترابك، وطلع البشير بإرتقابك، ووافت رواد خطابك، وقهقهة مجلجل سحابك، وتصدرت بحار الطلب لسقياك". راجع الشنتريني: نفسه، ج٤، ص١٣٦.

(١٧٤) الشنتريني: نفسه، ج٤، ص ١٤٢؛ وصرح إحسان عباس في حديثه عنه بأنه من الشعراء الجوالين، راجع إحسان عباس: **تاريخ الأدب**، ص٨٤.

(١٧٥) السيوطي: بغية، ج٢، ص١٧٦.

(١٧٦) سعيد إعراب: **القراء والقراءات في المغرب**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص١٥.

(١٧٧) الزركلي: **الأعلام**، ج٤، ص٣٠٠.

(١٧٨) السيوطي: نفسه، ج٢، ص١٧٦.

(١٧٩) الحصري: **نور**، (ص٨ – ٩)، مقدمة المحقق؛ وأورد ابن بسام عن ذلك "كان الحصري المكفوف القروى قد طرأ على جزيرة الاندلس في مدة ملوك طوائفها فتهادته تهادى الرياض للنسيم، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الانس المقيم، ولما خلعوا وأخوت تلك النجوم، وطمست للشعر تلك الرسوم اشتملت عليه مدينة طنجة وقد ضاق ذرعه، وتراجع طبعه، فتصدى إلى المعتمد في طريقه، وهو في تلك الحال من الاعتقال، بأشعار له قديمة صدرها في الرباب وفرتنى، وعجزها في الأستجداء وطلب اللهى خارجه عن الغرض والمغزى، مما كان فيه المعتمد يومئذ، وألح عليه بالوصول بتلك الأشعار إليه، فندبه كرم جبلته إلى معارضته عند مفاوضته، فطبع على ثلاثين مثقالاً لم يمكنه سواها، وأدرج قطعة شعر طبها معتذرًا من نزرها، راغبًا في قبول أمرها، فلم يجاوبه الحصري عما حصل يومئذ من قبله لديه". راجع الشنتريني: **الذخيرة**، القسم الثاني، المجلد الأول، ص٥٤.

(١٨٠) الأصفهاني: **خريدة القصر**، ج٢، ص١٨٧.

(١٨١) الأصفهاني: نفسه، ج٢، ص١٨٢ – ١٨٣.